السنة التاسعة العدد ١٧ ١ ايلول سنة ١٩٠٦

المشرق

وقفة في قلعة بعلبك

للكاتب الاديب فليكس افندي فارس

قلعة بعلبك هيا كل متهدّمة بجدران متداعية وأعمدة متحطّمة يؤمّها القاصي والدان. للوقوف بين اطلالها والاعجاب بما تمثّل للنظر من عجيب النظام وضخامة البنيان

مشهدٌ تحتار فيهِ العقول وتصغر لديهِ النفوس. مشهدٌ طالما استوقف كبار المهندسين للنظر في إحكامهِ وطالما وقف امامهُ المؤرخ خاشعاً حائرًا لا يجسر ان يلفظ عن زمان تشييدهِ الكلمة الاخيرة

قبالة هذه الآثار المتهدّمة اقف كل يوم لأستقبل الشمس وهي تضيف على الاعمدة الثابتة قبلةً جديدة الى الملايين التي لثمت بها جوانبها من قبل. بازاء هذه الجدران الهائلة اقف مودعًا كوكب النهار وهو يوّه احجارها بنورهِ المصفرّ. عند هذا الهيكل ابن الاعصار الطوال اقف انا ابن الامس وكلانا نشخص امام عوامل الطبيعة وهي تتابع بنظام سيرها واحد بحركة واحدة على الحي المنهزم امام السنين والجماد الراسخ في وجه العصور

يلذّ لي ان اناجي هذه الاطلال البوالي فاستعير لها نفسًا من انفس الشعوب التي فنيت بظلّها وأُخاطب رسمها العافي باشرف ما يخاطب الانسان بالانسانية والشاعر بالشعور. اخاطب بالذكر والتأمل ذلك الجم الغفير الذي اصبح عفرًا تطأهُ الارجل وقلّما ينبض لذكرهِ قلب

كثيرًا ما وقفت على تلك الآثار المبعثرة المكسّرة. كثيرًا ما احنيت الرأس متأملًا

في تلك الذرات المبدَّدة وما هي الّا رماد العصور البعيدة . كثيرًا ما وقفت مفكّرًا متأثرًا ولكنني رغمًا عن ذلك لم اكتب شيئًا حتى اليوم

وماذا يمكن ان اسطّر عن هذه الخرائب لو أمسكت القلم لاهدي اخواني ما يلذّ ويفيد . هل اقل لهم قياسات الاعمدة وعلوّها وعرض الاحجار وطولها . ام اكتب عن تاريخ هذه الشواهق المتهدمة ؟

لقد وُصف البناء من قبل هندسةً وقياسًا (١ وقد كُتب كثيرًا عن تاريخهِ ايضًا اما انا فألج باب هذه الفخامة المدمَّرة ليس كالمهندس الحامل مقاييس وحبالًا ولا كالمؤرخ تحت ابطه كتاب افتراضات غيرهِ بل كخليقة تعرف حقارتها امام عظمة الكون ومفاعيل الزمن ادخل بنفس تحب أن تمجد خالقها لدى اثار الزوال الكاتبة على العفر : « وهو الباقي »

أدخل بقلبٍ خناقٍ ونفس تريد ان تشعر فاقف امام الخرائب كالحياة المتجدِّدة امام الموت الشامل امر امامها كرور الاجيال امام هيكل الحب الذي اخلقتهُ الايام ولم تدمّرهُ

أتأمل في كل سرداب وباحة ورواق فلا افتكر بطول هذه ولا بعلو تلك بل اقابل ما بين هذا البنيان والطبيعة الجامدة اقابل بينهُ وبين الجبال والامواه والاشجار . اقيس بقياس التأمل بين كامة الخالق ومحاولة البشر . اقابل هذه الضخامة بحقارة من شيَّدها وزال فأستخرج من ذلك قياسًا تفهمهُ النفس ولا يعرف ماهيتهُ الّا القلائل

امامي ابنيةٌ يتصدع العقل لدى ما بقي منها قائمًا وينقبض القلب لدى بقاياها المبعثرة على الارض وهي اشبه بأشلاء امواتٍ ممدَّدة شاخصةً الى الأكوان كانها لا تريد أن تفنى

هنا اعمدة قائمة وقد سقط رواقها المديد كانَّ السماء التي اصبحت سقفها الوحيد تغار على ما مرّت عليهِ القرون أن يظلل بغير اثيرها الفسيح . لا تريد السماء أن يغطّي سواها ارضًا مرّت عليها القرون فلم تعد مختصَّة بزمان وشعب

هذه الخرائب اصبحت للمدى يحكمها شيء يشبه اللانهاية فلا تاوي هذا او

---

١) ومن شاء الاطلاع على هذا الوصف الدقيق فليطالع تأليف الفاضل الحاذق ميخائيل افندي ألوف

ذاك ولا يقول احدٌ: « هذه لي » ولكنها كالطبيعة العذراء قائمة من ايدي شعب مجهول كما نرى الكيان الاعذر خارجاً من الازل وهو ارفع عن الادراك . هنا ثلاثة هياكل تدلّ بما ابقت لها الايام من الآثار المطابقة لاصطلاحات الاعصر الخرافية على انها بُنيت للعبادة أُقيمت لمناجاة القلب البشري لشعوره بما هو فوق الطبيعة وقد تجسَّم امامهُ الها

هنا هيكل الشمس حيث عُبدت فانحنت لديها الرُكَب وأريقت على مذابحها الدماء. هنا كان يتصوَّر الانسان نور الحياة المتيدة ويشعر بداخله بذلك الانعطاف السامي الخارج مع النفس منذ الازل وهو انجذاب النور للنور فلا يرى ما يشابه انعطافه من الكون المنظور غير هذا الكوكب المتلالئ في الافق كأنهُ المجد والرجاء فيخضع امامهُ ويدين لـهُ

هنا على هذه الحجارة الملساء التي صقلتها اقدام الزمان كم جثت ركبةٌ . وكم سقطت دموع . كم تولّد من رجاء . وكم مات من تذكار . كم ارتفعت آمالٌ وحبطت اماني . كم تلاعبت الأنفس بالحياة وتسلط المعتقد الباطل على التعقل . هنا كم حاول الفكر الانساني أن يعطي الجماد فكراً ونفساً فقصرت اعمالهُ ولم يتمكن من ادراك الحقيقة السرمديَّة الحيَّة القائمة بالتجرد

هنا كان شعبٌ لا اعرف مَن هو . كانت حلقةً كبيرة من سلسلة الانسانيَّة الغير المتناهية امام الفكر كانت حلقةٌ من هذه الحلقات المرتبطة التي تتدلى بتتابع الى وادٍ مظلم وبئر عميقة فوهتها الموت وقعرها لا يُنظر

هنا كانت قلوب تعبد وتحب بين السرير والكفن كانت تشعر بكل قوى الشعور وكفى دليلاً على ذلك هذه الضخامة الباقية من نتائج اميالها . هنا كان الحبّ قويّاً كالموت ولكن زائلاً كالحياة . والغيرة محرقة كالنار ولكن عابرة كالظلّ . . .

هنا تجلّى الله للانسان بواسطة الضمير ولكنَّ الضمير المتمشي بحب المجد والفتوح لم يفهم من صفات الله سوى العظمة والسمو والجلال اما المساواة والحلم والحب فلم يفهمها

ذلك لان الضمير ذلك المهبط الحي للحكمة السرمديَّة ذلك المقام الذي تتجلى به الحقائق لدى كلمة الله لهو عرضةٌ للضلال اذا لم يُصدر بـه ذلك الصوت العظيم المنحدر الى العالم من اعالي جلجلة الفداء . الضمير هيكلٌ للشعور فكلما تجلّى بـه انعطاف ابتعد منهُ غارباً وساد عليه الها بالصورة التي يفهمها

الانسان مفطور على التديُّن لانهُ عبدٌ مطرود يحِنُّ الى الكنفِ التي اخرجتهُ من عدن ويتوق الى الفم الذي لفظ لعنة الارض بسبب مخالفته لامر الخالق · وهو لم يصحب معهُ الى هذه الدنيا المحسوسة شيئاً من عالم التجرُّد سوى وجدان ضعيف يرتفع بالبداهة الى ما فوق فتصدُّهُ ظلمات الاوهام الى ما اسفل

هذه هي الهياكل المدمَّرة امامي الهاوية باصنامها وزخارفها الى الارض الساقطة مع اعتقاد مَن بنوها والحطمة مع اوهامهم النخرة · اراها تناجي تأملي بحقيقة سامية · اريد ان اهتف بها امام الافكار الجديدة المندفعة الى التلاعب بالوحي والاستناد على ما يدعونهُ وحي الطبيعة المجرد لايجاد شريعة وتصوُّر معاد

يا بني القرون المتأخرة وقفةً معي بين هذه الاطلال البوالي · فترةً عند هذه الآثار التي انا ابقتها الادهار كعبرةٍ يمثلها الله للقلب المرتقي بالتأمل الى اعالي الايمان · تأملاً عند هذه الجوامد البكماء وهي ناطقة فان العناية لم تدخرها مثالاً للنقش وعلماً للهندسة بل ابقتها بعد قرطجنة وقد سُحقت بعد بومباي وقد محقت · ابقتها لتعلمنا أنَّ العقل إن لم يستمدّ من العلاء ادراكاً فهو خابطٌ باوهام صبيانيَّة وان القلب إن لم يتعلم الحب من الشريعة الازلية فهو بَطِرٌ فاسق

هنا كان شعبٌ مثلكم ايها الطبيعيون يريد أن يجد من الطبيعة الهاً ويولد من الوجدان شريعةً قبل أن تدوي على الارض كلمة الحياة · فانظروا الى الالهِ الذي عبدهُ والى الشريعة التي سنَّها · عقولٌ سامية وقلوبٌ قوية اقدمت على رفع هذه الهياكل ببناء تنحني امامهُ هندسة هذا العصر وجنود امواله · تلك العقول ارادت أن تدرك الاله فعبدت الشمس · تلك القلوب ارادت أن تفهم الحب فوجدت الفواحش

وانتِ ايتها البدعة الطالبة وضع الكلام المنزل في مكان بعيد عن الانفة لانها لا تحتاجه على زعمكِ · ايتها البدعة الطالبة عبادة الاله وتوليد شريعة من مجرَّد وحي العقل اراكِ الان بعيدةً جداً عن بلوغ القوة التي كان بها الشعب الذي بنى هذه الهياكل · انتِ الان لا تعبدين شيئاً مما يُعبد وعبثاً تريدين الاستغناء عن الوحي الالهي بتوسيع المعارف وترقية الشعور لانهُ مهما ارتقى عقلكِ فسوف يبقى دون تلك العقول التي ابقت امامنا هذه العجائب · وهب انكِ بلغت تلك القوَّة ولحقتِ بذلك الشعب فلست بعابدةٍ في ذلك الحين الَّا ما كانوا يعبدون

ابن التلميذ الطبيب الشاعر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

﴿ طبّهُ ﴾ ومما برز فيه ابن التلميذ صناعة الطبّ لا يختلف اثنان في الاقرار بطول باعهِ فيها . قال العماد الاصفهاني : «كان هبة الله هذا في العلم والعمل من الطبّ بقراط عصرهِ وجالينوس زمانهِ خُتم به هذا العلم ولم يكن في الماضين من بلغ مداهُ في الطبّ عُمّر طويلًا وعاش نبيلًا جليلًا» . وقال جمال الدين القفطي (ص ٣٤٠) : ابن التلميذ طبيب وقتهِ وفاضل زمانهِ وعالم اوانهِ خدم الخلفاء من بني العبّاس وتقدّم في خدمتهم وارتفعت مكانتهُ لديهم وكان موفقًا في المباشرة والمعالجة عالمًا بقوانين هذه الصناعة وصنّف فيها عدّة مصنّفات وانتهت اليهِ رئاستُها وشهد له ابن ابي اصيبعة قال (١ : ٢٥٩) : «كان اوحد زمانهِ في صناعة الطبّ وفي مباشرة اعمالها ويدلّ على ذلك ما هو مشهور من تصانيفهِ وحواشيهِ على الكتب الطبيّة وكثرة من رأيناهُ ممّن قد شاهدهُ »

وقد روى معاصروهُ لهُ اعمالًا تدلّ على فروسيّتهِ وحسن نظرهِ . اخبر الشيخ موفّق الدين البغدادي قال : كان لامين الدولة حدوس صائبة منها انهُ أُحضرت اليهِ امرأة مجهولة لا يعرف اهلها أفي الحياة هي ام في الممات وكان الزمان شتاء فامر بتجريدها وصبّ الماء المبرّد عليها صبًّا متتابعًا كثيرًا ثمّ امر بنقلها الى مجلس دفيء قد بُخّر بالعود والندّ ودُثّرت باصناف الفراء ساعةً فعطست وتحرّكت وقعدت وخرجت ماشية مع اهلها الى منزلها

(قال) ودخل اليهِ رجلٌ مترف يعرق دمًا في زمن الصيف فسأل تلاميذهُ وكانوا قدر خمسين نفسًا فلم يعرفوا المرض فامرهُ ان يأكل خبز شعير مع باذنجان مشويّ ففعل ذلك ثلاثة ايّام فبرئ . فسألهُ اصحابهُ عن العلّة فقال : انّ دمهُ قد رقّ ومسامّهُ قد تفتّحت وهذا الغذاء من شأنهِ تغليظ الدم وتكثيف المسامّ

قال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٦١) ومن نوادرهِ انّ الخليفة كان فوّض اليهِ رئاسة الطبّ ببغداد فاجتمع اليهِ سائر الاطبّاء ليرى ما عندكل واحد منهم من هذه الصناعة . وكان في جملتهم شيخ لهُ هيئة ووقار وعندهُ سكينة فاكرمهُ امين الدولة وكان لذلك

الشيخ دربةٌ ما بالمعالجة ولم يكن عندهُ من علم صناعة الطبّ الّا التظاهر بها . فلمّا انتهى الامر اليهِ قال لهُ امين الدولة : ما السبب في كون الشيخ لم يشارك الجماعة فيما يبحثون فيهِ حتى نعلم ما عندهُ . فقال : يا سيّدنا هل شيء مما تكلّموا فيهِ الّا وانا اعلمهُ وقد سبق الى فهمي اضعافُ ذلك مرّات كثيرة . فقال لهُ امين الدولة : فعلى من كنت قد قرأت هذه الصناعة . فقال الشيخ : يا سيّدنا اذا صار الانسان الى هذه السنّ ما يبقى يليق بهِ الّا ان يُسأل كم لهُ من التلاميذ ومن هو المتميّز فيهم . واما المشايخ الذين قرأتُ عليهم فقد ماتوا من زمان طويل . فقال لهُ امين الدولة : يا شيخ هذا شيء قد جرت العادة بهِ ولا يضرّ ذكرهُ ومع هذا فما علينا أخبرني ايّ شيء قد قرأت من الكتب الطبيّة . وكان قصد امين الدولة ان يتحقّق ما عندهُ . فقال : سبحان الله العظيم صرنا الى حدّ ما يُسأل عنهُ الصبيان ، ايّ شيء قد قرأتهُ من الكتب ، لمثلي ما يقال الّا ، ايّ شيء صنّفتهُ في صناعة الطبّ وكم لك فيها من الكتب والمقالات ، ولا بدّ انّني اعرّفك بنفسي . ثمّ انهُ نهض الى امين الدولة ودنا منهُ وقعد عندهُ وقال لهُ فيما بينهما : يا سيّدي اعلم انني قد شختُ وانا أوسم بهذه الصناعة وما عندي منها الّا معرفة اصطلاحات مشهورة في المداواة وعمري كلّهُ اتكسّب بها وعندي عائلة فسألتك بالله يا سيّدنا مشّ حالي ولا تفضحني بين هؤلاء الجماعة . فقال لهُ امين الدولة : على شريطة وهي انك لا تهجم على مريض بما لا تعلمهُ ولا تشير بفصد ولا بدواء مسهل الّا لما قرب من الامراض . فقال الشيخ : هذا مذهبي منذ كنتُ ما تعدّيت السكنجبين والجلّاب . ثم انّ امين الدولة قال لهُ معلناً والجماعة تسمع : يا شيخ اعذرنا فانّا ما كنّا نعرفك والآن فقد عرفناك استمرّ فيما انت فيهِ ولا احد يعارضك . ثمّ انهُ عاد بعد ذلك فيما هو فيهِ مع الجماعة وقال لبعضهم : على من قرأت هذه الصناعة ؟ وشرع في امتحانهِ . فقال لهُ : يا سيّدنا انا من تلامذة هذا الشيخ الذي قد عرفتهُ وعليهِ كنتُ قد قرأت صناعة الطب . ففطن امين الدولة بما اراد من التعريض بقولهِ فتبسّم وامتحنهُ بعد ذلك .

(قلنا) وقد اخبر ابن العبري في تاريخ مختصر الدول (ص ٢٨١—٢٨٢) وابن القفطي في تاريخ الحكماء (ص ١٩١) خبراً شبيهاً بهذا وقد نسباهُ الى سنان بن ثابت ابن قرّة والله اعلم

ومما اخبره ابن ابي اصيبعة (١: ٢٥٩) ويدلُّ على مروءة امين الدولة ودينه انَّ محمّد بن محمود خوارزمشاه لمّا حاصر بغداد مرض وهو بظاهر المدينة ومرض في الوقت ذاته المقتفي ببغداد وكان ابن التلميذ يعالجهما كليهما فاراد محمّد خوارزمشاه ان يدبّر في اتلاف المقتفي وقدّم لهُ عشرة آلاف دينار فردَّها ابن التلميذ وقال: «انا رجل طبيب لا اتجاوز وظائف الاطبّاء وما يلزمهم ولا اعرف الّا ماء الشعير والنقوع وشراب البنفسج والنيلوفر ومتى خرجتُ عن هذا لا اعرف شيئاً». وهذا كان من عقل الرئيس امين الدولة ودينه وامانته ثمَّ برئ محمّد بن خوارزمشاه والمقتفي ووقع الصلح بينهما. وكان ابن التلميذ يقول: لا ينبغي للطبيب ان يداخل الملوك في اسرارهم ولا يتجاوز ماء الشعير والنقوع والشراب فمتى جاوز هذا تلف وكان سبب هلاكه وكان ينشد:

وإذا أَنبت المهيمنُ للنمـــل جناحاً اطارها للتردّي
ولكل امرئٍ من الناس حدٌّ وهلاك الفتى جواز الحدّ

❁ تلامذتهُ وتآليفهُ ❁ قد سبق في ما مرَّ انَّهُ كان لابن التلميذ جماعة من الطلبة يدرسون عليه وقد بلغ عددهم نحو الخمسين. وممَّن اشتهر منهم محمّد بن عبد السلام الماردينيّ. قال جمال الدين القفطي (ص ٢٩٠): قرأ الطبَّ على هبة الله ابن الصاعد بن التلميذ ببغداد وبلغني انَّ ابن التلميذ لمَّا رأى غزارة فهمه في علوم الحكمة اشار عليه بالطب لتعجيل الراحة منهُ وضرورة حاجة الناس اليه. وقال ابن ابي أُصيبعة (١: ٣٠٠) انهُ قرأ كتاب القانون لابن سينا على ابن التلميذ وانَّ ابن التلميذ قرأ عليه صناعة المنطق وتوفّي سنة ٥٩٤ (١١٩٨ م) وعمرهُ ٨٢ سنة

ومن مشاهير تلامذة ابن التلميذ ايضاً صاعد بن هبة الله بن المؤمّل الخطيريّ النصرانيّ واخوهُ ابو الخير الاركيذياقون وهما اخوا الجاثليق المعروف بابن المسيحي. حكى ابن العبري (ص ٤١٦) عن صاعد انَّ اباهُ حملهُ وهو مترعرع الى ابن التلميذ ليشغلهُ فقال: هذا ابنك صغير جدًّا. فقال: غرضي التبرُّك منك. فأقرأهُ المسألة الاولى من مسائل حنين. ثم اشتهر بالعلوم ومات ببغداد سنة ٥٩١ (١١٩٥ م)

وممَّن انتفعوا بالدرس على امين الدولة الشيخ موفّق الدين البغدادي نقل ابن خلكان في ترجمة ابن التلميذ عنهُ قال: وكان امين الدولة شيخنا قد انتفع وروى من كلامه ما نصُّهُ: «وكان شيخنا قد ناهز ثمانين سنة ولديه تجربة فاضلة وغرض

على اسرار الطبيعة يرى الامراض كأنها وراء زجاج لا يعتريه فيها ولا مداواتها شكٌّ وكان اكثرها يصف المفردات او ما يقلّ تركيبهُ ولم أرَ من يستحقُّ الطبَّ غيرهُ »

امّا مصنَّفاتهُ فهي عديدة مليحة فمن ذلك اقراباذينهُ في عشرين بابًا اشتهر وتداولهُ الناس ومنهُ نُسخ في خزائن المخطوطات الكبيرة كاكسفرد (ZDMG VIII, 378) والمكتبة الخديوية (٦: ٣٥) . قال ابن خلكان : هو نافع في بابهِ وبهِ عمل الاطبَّاء هذا الزمان . ولهُ اقراباذين آخر موجز يعرف بالبيمارستان في ١٣ بابًا . ومن تآليفهِ المقالة الامينيَّة في الادوية البيمارستانيَّة . واختيار كتاب الحاوي للرازي والاشربة لابن مسكويه واختصار شرح جالينوس لكتاب فصول بقراط ولكتاب تقدمة المعرفة لبقراط ثم لهُ شرح مسائل حنين على جهة التعليق ولهُ حواشٍ على قانون ابن سينا وحواشٍ على كتاب المائة للمسيحي ومقالة في الفصد ومختار من كتاب ابدال الادوية لجالينوس . وكتاب المجرَّبات منهُ نسخة في مكتبة غوتا . وقد مرَّ ذكر كتابهِ المشتمل على توقيعات ومراسلات

❁ شعرهُ ❁ وكما امتاز ابن التلميذ بالطبِّ برز ايضًا في الشعر الّا انَّ ما بقي من نظمهِ عبارة عن اقوال وحكم ونتف ذات معانٍ بليغة لا يتجاوز اكثرها البيتين والثلثة . قال صاحب طبقات الاطبَّاء (١: ٢٥٩) : « لامين الدولة شعر مستظرف حسن المعاني الّا ان اكثر ما يوجد لهُ البيتان والثلثة وامَّا القصائد فلم اجد لهُ منها الّا القليل» . وكذلك العماد الاصبهانيّ قد ذكرهُ في جملة شعراء عصرهِ في كتاب خريدة القصر قال : « هو جمال النصارى رأيتهُ ببغداد وكان من أكبر كتَّاب النصارى لهُ ابيات افراد كلُّها فرائد وكلمات وافية رائقة شافية شائقة » . فمن حكمهِ قولهُ :

واظب على الجدّ ولا تنخدعْ بالهزل ان ساعدك الجدُّ
ولا تَذِل انَّ لهُ موضعًا فالهزلُ في موضعهِ جدُّ

ولهُ في نشاط الشيخ المسنّ :

اذا وجد الشيخُ في نفسهِ نشاطًا فذلك موتٌ خفي
ألستَ ترى انَّ ضوء السراج لهُ لهبٌ قبل ان ينطفي

ولهُ : سُق النفس بالعلم نحو الكمال تُوافِ السعادةَ من بابها
ولا ترجُ ما لم تُسبِّبْ لهُ فانَّ الامور بأسبابها

ومن جميل اقوالهِ :

لولا حجابٌ أمام النفس يمنعها عن الحقيقة فيا كان في الازلِ
لأدركتْ كلَّ شيء عزَّ مطلبُهُ حتّى الحقيقةَ في الحلول والملل

وقال في سكرة الشباب :

كانت بُلَهْنِيَةُ الشبيبةِ سكرةً فصحوتُ واستأنفتُ سيرةَ مُجمِلِ
وقعدتُ ارتقبُ الفناءَ كراكبٍ عرف المحلَّ فبات دون المنزلِ

ولهُ في الشيب :

قالوا شباب الفتى خؤونٌ والشيبُ وافٍ وليس يرحلْ
فقلتُ ابعدتمُ قياساً ذاك حبيبٌ وذا موكَّلْ

وقال في العلم ومفعوله في اللبيب وفي المغفَّل :

العلمُ للرجل اللبيب زيادةٌ ونقيصةٌ للاحمق الطيَّاشِ
مثل النهار يزيد ابصار الورى نوراً ويُعشي اعين الخفّاشِ

ومن قوله في التواضع :

اذا كنتَ محموداً فانك مُرمَدٌ عيونَ الورى فاكحلهمُ بالتواضُعِ

وقال في العدوّ الصغير :

لا تحقرنَّ عدوّاً لانَ جانبُهُ ولو يكونُ قليلَ البطش والجلَدِ
فللذبابةِ في الجرح المُمدِّ يدٌ تنال ما قصرت عنهُ يدُ الاسدِ

واحسن في من يرى عيوب غيرهِ دون عيوب نفسهِ :

وارى عيوبَ العالمين ولا ارى عيباً لنفسي وهو مني اقربُ
كالطرف يستجلي الوجوهَ ووجههُ منهُ قريبٌ وهو عنهُ مغيَّبُ

وقال في تقلُّب الايَّام :

أجدِّكَ انَّ من شِيَم الليالي المسيئةِ ان تجور على اللهيفِ
كمثل الخلط اغلبُ ما تراهُ يصبُّ اذاهُ في العضو الضعيفِ

وقال في الكريم واللئيم :

نفسُ الكريم الجواد باقيةٌ فيهِ وان مسَّ جلدهُ العَجَفُ
والحرُّ حرٌّ وان ألمَّ بهِ الـضرُّ ففيهِ العفافُ والانَفُ
والنذلُ لا يجتدي لمكرمةٍ لأنَّ ذاك المزاج منحرفُ
فالقَطْر سمٌّ ان احتواهُ فمُ الصلِّ ودرٌّ ان ضمَّهُ الصدفُ

﴿ الهجو ﴾ ولابن التلميذ هجو لطيف دون بذاءة ومجون فمن ذلك قولهُ يهجو ابنهُ سعيداً :

حيّ سعيداً جوهرٌ ثابتٌ وحبُّهُ لي عرضٌ زائلٌ

بهِ جهاتي الستُّ مشغولةٌ وهو الى غيري بها مائلُ

ومنهُ: قد قالَ للشيخ الجليـل الاريجيِّ ابي المظفَّرْ
ذُكِرَ فلان الدينَ بي قال المؤنَّثُ لا يُذَكَّرْ

وقال في صديق لهُ يهوديّ يتكبَّر:

لنا صديقٌ يهوديٌّ حماقتهُ اذا تكلَّم تبدو فيهِ من فيهِ
يتيهُ والكلبُ اعلى منهُ منزلةً كأنَّهُ بعدُ لم يخرج من التيهِ

وقال يهجو انساناً بالعين:

مدوَّر أكمب فاَتخذهُ نقلَ غرسٍ ونقص عيشٍ (١
لو رمقتْ عينهُ الثريَّا اخرجها في بنات نعشٍ

ولهُ في آخر:

قالوا فلانٌ قد وزر فقلتُ كلَّا لا وزرْ
واللهِ لو حكَّمتُ فيـهِ جملةً يرعى البقرْ

ومن هذا القبيل ما انشدهُ:

قال الانام وقـد رأوا رجُلاً مع الحداثة قد تصدَّرْ
من ذا الجاورُ قدرهُ قالَ المقـدَّم بالمؤخَّرْ

ولهُ في آخر اسمهُ حيدر:

مذ صار حيدر يَبْدَقَ الصَّدْرِ ومشيرهُ في النهي والأمرِ
والمستناب على نيابتـهِ ايقنتُ انَّ العجزَ في الصدرِ

وقال جدُّهُ يحيى بن التلميذ في مغنٍّ:

لنا مغنٍّ ان شدا ندفنا ثلوجهُ
فموتنا مزوجهُ (٢ وبعثُنا خروجهُ

﴿ الفكاهات واللطائف ﴾ ومن فكاهات امين الدولة قولهُ:

بزجاجتين قطعتُ عمري وعليهما عوَّلتُ دهري
بزجاجة مُلئت بحِبرٍ وزجاجة مُلئت بخمرِ
فبذا أُثبِّتُ حكمتي وبذا ازيل هموم صدري

ومثلهُ قولهُ:

كأسٌ يُطفئي لهبَ الاوامِ ثانٍ يعينُ هاضم الطعامِ
وللسرور . ثالثُ المدامِ والعقلُ ينفيهِ مزيدُ جامِ

---

١) ويروى: ونقَّ عرشٍ

٢) ويروى خروجه اي خروجهُ في الايقاع

ولهُ ايضاً : من كان يُلبِس كلبهُ وشياً ويقنع لي بجلدي
فالكلب مني عندهُ خيرٌ وخيرٌ منهُ عندي

ولجدّه يحيى في هذا الباب قولهُ وكان سيف الدولة صدقة ابتنى لهُ داراً فوقعت فيهـا النار يوم الفراغ منها :

يا بانياً دار العُلى مأْبتها تتريدها شرفاً على كيوانِ
علمتْ بأنك انّما شيّدتها للمجد والافضالِ والاحسانِ
فتفتْ عوائدك الكرامَ وسابقتْ تستقبل الاضيافَ بالنيرانِ

﴿ الاشواق ﴾ ولابن التلميذ ايضاً عدّة اقوال في الشوق والفراق والغزل الخالي من كلّ فحش نختارُ منها ما يلي :

تمس القياسُ فللغرام قضيّةٌ ليست على نهج الحجا تنقادُ
منها بقاء الشوق وهو بعُرفنا عَرَضٌ وتفنى دونهُ الاجسادُ

وقولهُ : يا من رماني عن قوس فرقتهِ بسهم هجرٍ غلا تلافيهِ (١
إرْضَ لمن غاب عنك غيبتهُ فذاك ذنبٌ عقابهُ فيهِ
لو لم ينلهُ من العذاب (٢ سوى بُعدك عنهُ لكان يكفيهِ

وقولهُ : يا من لبستُ عليهِ اثواب الضنا صُفراً مُشهّرةً بحُمر الادمعِ
أدرك بقيّة مهجةٍ لو لم تذب شوقاً اليك نفيتها عن اضلعي

وكتب لصاحب :

انت شغلي في كلّ حالٍ فنومي بخيالٍ . ويقظتي باذّكارِ
طال ليلي بطول هجركَ لا دا م وشوقي الى الليالي القصارِ

ولهُ يتشوّق الى اصحابهِ وهو في بغداد :

على ساكني بغداد مني تحيّةٌ تحمّلها ريحُ الشمالِ النسيمِ
تخبّرهمُ اني صحبتُ مباشراً سواهم فأبكاني الزمانُ عليهمِ

وكتب لمن استطال زيارتهُ :

لا تظنّن تجنّبي لملالٍ انت من خوفِ سلوتي في امانِ
ربّ هجرٍ يكون ادعى الى الوصـل ووصلٍ ادعى الى الهجرانِ

وقال في آخر :

يا دارُ لا تنكري منّي التفات فتى فراقُ احبابهِ اجرى مدامعهُ
عهدتُ فيكِ قُميراً كان يؤنسني حيناً فيناي تستتري مطالعهُ

---

١) ويروى : على تلافيهِ . ويروى : غدا تلافيهِ ٢) ويروى : العقاب

وفيه: خليلٌ نأى عني فبُدِّلتُ بعدهُ بِمُرِّ الجوى من صفو عيشٍ وطيبهِ
اغار عليهِ صرفُ دهرٍ فنالهُ وعمّا قليل سوف يلحقني بهِ

ولهُ في احباب واحسن :

لا تعجبوا من حنين قلبي اليهم واعذروا غرامي
فالقوس مع كونها جماداً تئنُّ من فرقة السهامِ

وقال في غيرهم :

كيف ألذُّ العيش في بلدةٍ سكّانُ قلبي غير سكانها
لو انها الجنّة قد ازلفت لم أرضها الّا برضوانها

ويروى لجدّهِ يحيى بن التلميذ ما يشبه هذه المعاني اللطيفة قال :

عَلِق الفؤاد على خلوّ جسمهم عَلَقَ الذبالة في حشا المصباحِ
لا يستطيعُ الدهرَ فرقةُ بينهم الّا لحين تفرّق الاشباحِ

وقال : فراقك عندي فراق الحياة فلا تجهزنَّ على مُدنفِ
علقتك كالنار في شمعها فما ان تفارق او تنطفي

ولهُ بمعناهُ : بدا الينا ارجُ القادمِ فبرّد الغُلّة من هائمِ

﴿ المديح ﴾ مدح امين الدولة رجلاً شريفاً كان يتواضع فقال :

تواضعَ كالبدر استنار لناظرٍ على صفحات الماء وهو رفيعُ
ومَن دونهُ يسمو الى المجد صاعداً سموَّ دخان النار وهو وضيعُ

ومدح الوزير سعد الملك نصير الدين من قصيدةٍ :

لا زال جدّكَ بالاقبال موصولا وجَدُّ ضدّك بالإذلالِ مفلولا
ولا عَدمتَ من الرحمان موهبةً تُعبد ربك بالامانين مأهولا
فنعمَ منطلقُ الكفّين انت اذا اضحى اللئيمُ عن المعروف مغلولا
يجود بالمال لا تسأل يداهُ وان تسأل فصاحتهُ بذّ الورى قيلا
لا يستريحُ الى العلّات معتذراً اذا الضنينُ رأى للبخل تأويلا
يبادرُ الجود سبقاً للسؤال يرى تعجيلهُ بعد بذل الوجه تأجيلا
لا غرو أن كُسفت شمس الضحى وبدت فاكثر الناسُ تسبيحاً وتهليلا
فانت سيف غياث الدين أغمدهُ صوناً وعاد على الاعداء مسلولا
فلا خلا الدستُ من غيثٍ اذا قنطوا ظلَّ نداهُ لدى الرُّوّاد مبذولا
فما يليق بغير السعد مسندهُ وانْ اعاروهُ إعظاماً وتبجيلا
فاسلم على الدهر في نعماء صافيةٍ من النوائب مرهوباً ومأمولا

ولهُ ايضاً ويروى البيتان لابن الحجّاج :

جودةٌ كالطبيب فيها يداوي سوءَ احوالنا بحسن الصنيعِ
فهو كالمويا اذا انكر الطعمَ وشِلُ الترياق للملسوعِ

ولهُ في جمال الرؤساء ابي الفتح هبة الله بن الفضل :

ما نشرُ انفاس الرياض مريضةً عوّادُها طلّ الندى وقطارُ
كفلت بتُروتها ،وزبدةَ جها وكفى صداها جدولٌ مدرارُ
بكت السماء فاضحكتها مثل ما ابكي فتضحك بي الندامة نُوارُ
واذا تُعارضها ذكاء تشمت فتازج الــنــوّارُ والنوّارُ
مشت الصبا بفروعها مختالةً فثنى المشرق وغيرهُ استيارُ
واذا تغنّى الطيرُ في ارجائها ابدى بلابل صدره التذكارُ
يوماً باطيبَ من جوارك شاهدًا او غائباً تدنو بك الاخبارُ

﴿ التهاني والهدايا ﴾ قال امين الدولة يهنّئ في خلعة :

لئن شرفتَ مناسبُها وجلّت لقد زُفّت الى كفءٍ شريفِ
الى من زانها وازانَ منها كسالفةِ المليحة والشنوفِ

واهدى الى الوزير ابن صدقة كتاب المحاضرات للراغب وكتب معهُ :

لمّا تعذّر ان اكونَ ملازماً لجناب مولانا الوزير الصاحبِ
ورغبتُ في ذكري بحضرة مجده اذكرتهُ بمحاضرات الراغبِ

وكان ابو القاسم بن الفضل قد عتب على امين الدولة بن التلميذ فاجابهُ امين الدولة بان خلع عليه قميصاً مصمتاً اسود وكتب اليه :

أُحبك في السوداء تسحبُ ذيلها خطيباً ولكن لا بذكر شالي

ثم قال يشير الى كتابه :

اتاني كتابٌ لم يزدني بصيرةً بسؤدد مهديهِ اليّ وفضلهِ
فقلتُ وقد اخجلني بابتدائهِ أبى الفضلُ الّا ان يكون لاهلهِ

﴿ الشكر ﴾ قال يشكر العزيز ابا النصر بن محمد بن حامد مستوفي الدولة

لعمرُ ابيك الخير ليس لواحدٍ من الناس الّا حامدًا لابن حامدِ
كأنهم دانوا الالهَ بشكرهِ علاء، ولكن لا كشكر ابن صاعدِ
همُ خبّروا عنهُ فأثنوا بصالحٍ وعندي بما اثنت بهِ خيرُ شاهدِ (١

وقال يشكر موفّق الدين ابا طاهر الحسين بن محمد لوقفه دار كتبهِ على ساوة وكان ابن التلميذ دخل المدينة واشتغل في خزانة الكتب :

وُفّقتَ للخير اذ عممت بهِ طلّابهُ يا مُوفّق الدينِ

١) ويروى : وعندي بما اثنيتُ خيرُ الشاهدِ

ازلفت للناس جنة جمعت عيون فضل اشهى من العين
فيها ثمار العقول دانية قطوفهـا حلوة الافانين
لا زلت تسـو بكل صالحة بمعدتي قـدرة وتمكين
ويرحم الله كل مستمع مشيع دعـوتي بتأمين

﴿ المراثي ﴾ قال ابن التلميذ يرثي الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس الاسدي لمّا قُتل :

ليبك ابن منصور عُفاة نواله اذا عصفت بالريح نكباء حرجف
ويذكره من ردّهم بهبوسه فتى كان يلقاهم ببشر ويسعف
ولمّا سما فوق السماك جبهة (١ بغضّ لها طرف الحسود ويطرف
رمته الليالي بل رمتنا برزئه كبدر الدجا في ليلة التمّ يخسف
عليك سلام لا تزال قلوبنا على حزن ما هبّت النيب (٢ توقف
ولا برحت عين السماء يرثها على جدث واراك تهمي وتذرف

ومن مراثيه ايضًا قوله في رئيس مات في يوم ممطر :

كم ذا الوقوف على غرور اماني أأخذت من دنياك عقد امان
هل عيشة بعد الرضا مرضية كلّا ولو كانت خلود جنان
ان السماء بفقده لحزينة فرياحها نفس الكئيب العاني
والغيث ادمعها وما برقت بـه نار الجوى والرعد الارنان (٣
لو ذاق فقدك من يلوم على البكا لزرى على التبسم (٤ والسلوان
تبكوك اذ صلّوا عليك ولم تزل كالنجم تخدمهم بكل مكان
لا يبعدنك وما البعيد بمن نأى حيًّا ولكنّ البعيد الداني

﴿ الالغاز ﴾ وممّا امتاز به امين الدولة ابن التلميذ الغاز لطيفة قالها في مواضع شتّى منها قوله في ابرة :

وكاسية رزقًا سواهـا يحوزه وليس لها حمد عليه ولا أجر
مفرّقة للشمل والجمع دأبها وخادمة للناس تخدمهـا عشر (٥
اذا خطرت جرّت فضول ذيولها سجيّة ذي كبر وليس بها كبر
ترى الناس منها يلبسون الذي نضت تمنّهم جودًا وليس لها وفر
لها البيت بعد العزّ غير مدافع الى بأسه (٦ تعزى المهنّدة البتر
اضرّ بهـا مثلي نحول بجسمها وان لم يروّعها مثل ما راعني هجر (٧

---

١) ويروى : رقا وسما فوق السماء جبهة ٢) ويروى : النيب ٣) ويروى : للاحزان
٤) ويروى : على التبسم ٥) ويروى : ويخدمها . يريد بالعشر الاصابع العشر
٦) ويروى : الى بابه ٧) ويروى : بحر

وكان يحيى ابن التلميذ جدّهُ سبقهُ الى لغز في الابرة واجاد وقال :

وفاغرةٍ فمًا في الرجل منها ولكن لا تسيغ بهِ طعاما
ومخطفة الحشا في الرأس منها لسانٌ لا تطيق بهِ الكلاما
تصولُ بشوكةٍ تبدو وسمٍّ وما مَن ذاقهُ يردُ الحماما
تجرُّ وراءها ابدًا أسيرًا كما قادت يدُ الحادي الزماما
شبيهًا ذا قوى لكن تراهُ بقبضتها ذليلًا مستضاما
فتلقيهِ بجحبها مقيمًا طوال الدهر لا يأبى المقاما
ابا عجبًا لها سوداء خلقًا تريك خلائقًا بيضًا كراما
غدت عريانةً من كلّ لبسٍ وناضلُ ذيلها يكسو الانما

ولهُ في قوس :

وما ذو قامةٍ ذات اعوجاجٍ تئنُّ وتنحني عند الهياج
لها المكر الخفيّ مع التشطّي كمكر الراح في قدح الزجاج

ولامين الدولة لغزٌ في الدرع (ويروى : الذراع) :

وبيضاء لا للبيض والسمر قدُّها تظاهر في تقويمها الحرّ والبردُ
تجلّت لنا حبًّا ولم تجرِ في رحا ولكن مولاة (١ لها الدقّ والبرد
وقيتُ بها نفسي فكانت كأنها هي الشمسُ محجوبًا بها الكوكبُ الفردُ

وقال لغزًا في الظل :

وشيءٍ من الاجسام غير مجسَّمٍ لهُ حركاتٌ تارةً وسكونُ
يتمُّ اواني كونهِ وفسادهِ وفي وقت عياهُ الحاقُ يكونُ
اذا بانت الانوارُ بان لناظرٍ واما اذا بانت (٢ فليس يبينُ

وقال في السحاب :

وهاجمٍ ليس لهُ من عدوى مستبدلٍ بكل مثوًى مثوى
بكاؤهُ وضحكهُ في معنًى اذا بكى اضحك اهل الدنيا

واشتهر لغزهُ في الميزان :

ما واحدٌ مختلفُ الاسماء (٣ يعدلُ في الارض وفي السماء
يحكمُ بالقسط بلا رياء اعمى يُري الارشاد (٤ كل رائي

---

١) ويروى : تولّاهُ   ٢) ويروى : غابت

٣) ويروى : مختلف الاهواء قال ابن خلكان : قولهُ مختلف الاسماء يعني ميزان الشمس وهو الاسطرلاب وسائر آلات الرصد وهو معنى قوله في الارض وفي السماء . وميزان الكلام النحو وميزان الشعر العروض وميزان المعاني المنطق وهذه الميزان والمكيال والذراع وغير ذلك

٤) ويروى : الرشاد

اخرسُ لا من علّة وداء يُغني عن التصريح بالايماء
يجيب ان ناداهُ ذو امتراء بالرفع والخفض عن النداء
يفصح ان عُلّق في الهواء

ولهُ في حصير :

افرشتُ خدّي للضيوف ولم يزل خلقي التواضعُ للّبيب الاكيسِ
فتواضعي اعلى مكاني بينهم طوراً فصرت احلُّ صدر المجلسِ

وقال في مجمرة البخور :

اذا الهجرُ اضرم نار الهوى فقلبيَ يضرم بالوصل (١ نارا
ابوح بأسراريَ المضمرا تِ تبدو سراراً وتبدو جهارا
اذا ما طوى خبري صاحبٌ أبى طيبُ عرفيَ الّا انتشارا

وقال فيها: كلّ نار للشوق تُضرَمُ بالهجـر وناري تشبُّ عند الوصالِ
فاذا الصدُّ راعني سكن الوجـدُ ولم يخطر الغرامُ ببالي

﴿ مراسلاتهُ ﴾ كان ابن التلميذ لادبه وحسن مزاياهُ ممدَّحاً يقصدهُ الادباء ويراسلهُ الشعراء. وممّن جرت لهُ معهم مكاتبات الرئيس جمال الملك ابو القاسم علي بن افلح . كتب لهُ ابو القاسم وقد نقه من مرض كتاباً يستأذنهُ في الأكل:

انا جوعان فأنقذ نيَ من هذه المجاعه
فرَجي في كسرة الخبز ولو كانت قطاعه
لا تَقُلْ لي ساعةً تصبرُ مالي صبرُ ساعه
فخواي اليوم ما يقبلُ في الخبز شفاعه

فاجابهُ امين الدولة :

هكذا اضيافُ مثلي يتشكّون المجاعه
غير اني ليس عندي لمضرّ من شفاعه
فتعلّل بسَويقٍ فهو خيرٌ من قطاعه
بجباتي قل كما تر سمُ سمعاً وطاعه

فلمّا وصلت الابيات الى ابن الافلح كتب اليهُ الجواب :

انّ مرسومك عندي قد توخّيتُ استماعه
غير اني لم اقل من نيّتي سمعاً وطاعه
ودفعتُ الجوعِ واللـهِ فلم اسطع دفاعه
فاكفني كُلفتهُ الآنَ وجنّبني صداعه .

---

١) ويروى : للهجر

فكتب اليهِ ابن التلميذ :

انا في الشعر ضعيفُ الـطبع مترورُ البضاعه
ولك الخاطر قد أو تيَ طبعاً وصناعه
ومتى لم تُكفَ شرَّ السجوعِ لم تُكفَ صداعَه
فعلى اسم الله قدِّم اخذهُ من بعد ساعه

وكتب اليهِ ابن افلح يتشوَّق اليهِ :

اني وحقك منذ ارتحلتَ   نهاري حنينٌ وليلي انينُ
وما كنتُ اعرف قبلي امرءًا   بجسم يقيمُ وقلب يبينُ
يقول الخليُّ اذا ما رأى   ولوعي بذكراك لا يستكينُ
تسلَّ فقلتُ دهاك الفراقُ   أتدري جوى البين أنّى يكونُ
وكيف السبيلُ الى سلوتي   وحزني وفيٌّ وصبري خؤونُ

فكتب اليهِ امين الدولة يجيبهُ :

واني وحبك مذ بنتُ عنك قلبي   حزينٌ ودمعي هتونْ
واخاف ظنيَ صبرٌ مبينٌ   وشاهد شكواي دمعٌ معينُ
فلله ايامنا الخاليا   ت لو ردّ سالف دهرٍ حنينُ
واني لأرعى عهود الصفاء   ويكلأها لك ودٌ مصونُ
وأحفظ ودك عن قادحٍ   وودُّ الاكارم علقٌ ثمينُ
ولِمْ لا يكونُ ونحن اليدا   نِ انت بفضلك منها اليمينُ
اذا قلتُ اسلوك قال الغرا   مُ هيهات ذلك ما لا يكونُ
وهل ليَ في سلوةٍ مطمعٌ   وصبري خؤونٌ وودي امينُ

وكتب الى ابن الافلح ايضاً يقول لهُ :

اساتَ بنفسي حين ازمتَ رحلةً   فهمّي مجموعٌ بشملي المفرَّقِ
فانَّ امرءًا سرَّ الموفَّق قربهُ   وفارقهُ طوعاً اَغيرُ موفَّقِ

ومن مراسلي ابن التلميذ محمد بن الهبَّاريَّة العباسي ناظم كتاب كليلة ودمنة وابو لسمعيل الطغرائي الشاعر الشهير ومحمد بن جكينا والسيّد النقيب الكامل ابن الشريف الجليل وكلهم قصائد امتدحوا بها امين الدولة ابن التلميذ نقتصر بذكر ابيات منها . قال ابن الهبَّاريَّة من قصيدة :

يا بني التلميذ لو وافيتُكم   لم تكن نفسي باهلي شغفه
وتسلَّيتُ بكم عن صبيتي   وغدا وسطي ثقيل المنصفه
أنا طلَّقتُ كرمانَ بكم   انكم لي عوضٌ ما اشرفه
برئيس الحكماء المرتجى   انهُ لي جنةٌ مخترفه

غدت الدنيا ومن فيها ممّا لملاهُ بالعلى معترفه
شمس مجدٍ لا تراها ابدًا عن سماوات العلى منكسفه

وهي طويلة . وكتب ابو اسمعيل الطغراني اليهِ يشكو ظهره :

يا سيّدي والذي مودّتهُ عنديَ روحٌ يحيا بها الجسدُ
من الم الظهر أستغيث وهل يألم ظهرٌ اليك يستندُ

ومن مديح للسيّد النقيب :

ودعني والثناء على مُبرّ عرفتُ بهِ صلاحي من فسادي
على متوحّد في الفضل سامٍ الى امد العلى مُبنى الايادي
اخي حكمٍ شواهدها عليهِ بَوادٍ في الحواضر والبوادي
اذا ما قيس قصّر عنهُ قسٌّ وقسٌّ ما علمنا من اياد

وقال في ختامها :

جُزيتَ الصالحاتِ فانتَ اهلٌ لها وسُقيت انواء الغوادي
ودمتَ على الزمانِ وكلّ شيءٍ على مرّ الزمان الى نفادِ

ولابن التلميذ اخبار كثيرة اقتصرنا على ما سبق لئلّا نخرج الى الطول المملّ ولا نعلم أُجمع شعرهُ في ديوان مستقلّ . وقد ذكرهُ صاحب كتاب اخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء (نسخة ليدن ص ٤٢٧) واثنى على نظمهِ وقال انّ شعرهُ كثير المُلَح . وما لا يُنكَر ان لجدهِ يحيي بن التلميذ ديوانًا اخذتهُ يدُ الضياع . وممّن رثى امين الدولة اثير الدين ابو جعفر عبد الله بن عميد الدين فقال :

فُقد الطيبُ فليس توجَدُ صحّةٌ الموجودِ منّا بعد ذا المفقودِ

وافاد ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٦٢) انّ الدار التي كان يسكنها ابن التلميذ « كانت في سوق العطر ممّا يلي بابهُ المجاور لباب الغربة من دار الخلافة المعظّمة بالمشرعة النازلة الى شاطئ دجلة » . انتهى

وصف طور سينا وابنيته

سعى بنشرهِ الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

[ثم تمشي من اول كنيسة الضامنة قليلًا فتلقى باب عقد وايضًا بابًا آخر مثلهُ ثم تمشي قليلًا في سهل فتلقى اربع كنائس جملةً والكنيسة على اسم مار الياس الحي وداخل

مائدة هذه الكنيسة مغارة لطيفة التي صام فيها مار الياس اربعين يوماً واربعين ليلة لانهُ لما كان في ارض القدس راقدًا تحت شجرة البطم ظهر لهُ ملاك الرب وقال لهُ : قم كل واشرب فان مسافة الطريق عنك بعيدة . فلمَّا نهض من نومهِ رأى عند راسه ملَّة من الذرا وكوزًا من الماء فاكل وشرب وعاد فنام ثم بعد ذلك سار بقوَّة ذلك الطعام مدَّة اربعين يوماً واربعين ليلة الى هذا الجبل المذكور وجلس في هذه المغارة]

[وداخل هذه الكنيسة كنيسة اخرى على اسم اليشع النبي وداخلها ايضًا كنيسة اخرى على اسم القديسة مريم المصرية وايضاً كنيسة اخرى على اسم القديسة مارينا وقدامهم بئر ماء طيب حلو ومن هذا المكان تصعد الى جبل طور سينا المقدس وجميع الطريق الذي تصعد فيهِ من الدير المقدَّس الى جمجمة سينا يجري (١ ومن كنيسة مار الياس الى راس جبل صعوده صعب (٢]

ولما ان تصعد الى راس جمجمة طور سينا تلقى الصخرة المقدسة الذي وقف فيها موسى النبي وانشقَّت لمَّا تجلَّى قدَّامهُ الله والصخرة من ناحية الشرق وعلوها قدر قامتين وطولها ستَّة باعات وطرف الصخرة مبني عليه حائط كنيسة مار ميخائيل

وتمشي من قدام هذه الصخرة قليلاً وتدخل الى كنيسة مار موسى من باب حديد وهي كبيرة بغاية الحسن وفيها كان الله سبحانهُ يخاطب موسى النبي ومنها تدخل الى كنيسة ميخائيل الملاك

ولما ان تخرج من باب كنيسة مار موسى وتمشي قليلًا تلقى مغارة وتنزل فيها باربع درجات حجر وهذه المغارة هي التي صام فيها موسى النبي اربعين يوماً واربعين ليلة واعطاه الله الالواح الحجريَّة المكتوبة باصبع الله . وبقرب هذه المغارة مسجد للمسلمين وبقربها بئر ماء حلو وهذا الجبل المقدس جميعه حجر وكله محترق ذائب مثل الشمع من ذلك الوقت الذي تجلَّى الله فيهِ قدَّام موسى النبي حسبما ذكر داود النبي : « ذابت الجبال مثل الشمع من قدام وجه الرب » (يهوديت ٥ : ٥)

[ولما ان تعاود وتنحدر من الجبل المقدس وتصل الى كنيسة مار الياس تمشي شمالًا

---

١) كذا في الاصل . ومثلهُ في نسخة الواتيكان (R. B., 138. note) ولعلَّ المعنى كما افاد جناب الاستاذ غويدي ان هذه الطريق سهلة الجري

٢) وفي النسخة الواتيكانيَّة : « الى راس الجبل وصعود صعب »

نحو ميل فتلقى كنيسة صغيرة على اسم يوحنا المعمدان وحولها بيوت وقلالي وقدامها شجرة عنب وبئرها طيب. ثم تمشي من هذا الموضع نحو ميل فتلقى كنيسة على اسم القديس مار جاورجيوس · وايضاً كنيسة اخرى على اسم زنار السيدة · وقدام هذه الكنائس كرم صغير وبئر ماء. وتمشي من هذا الموضع نحو نصف ميل فتلقى كنيسة على اسم الشاهد بندالايمون وقدامها بركة ماء. وفوق هذا الموضع قلالي وحبس اولاد الملوك (١ وتمشي عنها نصف ميل فتلقى كنيسة صغيرة على اسم يواكيم وحنة ثم تعاود الى كنيسة بندالايمون وهذه الكنائس جميعها في جبل حوريب وعددها اثنتا عشرة]

[ومن هذه الموضع تنحدر الى دير اللجاة (٢] نحو ميل ودير اللجاة كبير وفيه كنيسة على اسم الاربعين شاهداً وهي عقد. وفي هذا الدير قلالي كثيرة وعليه باب حديد وقدامه بستان كبير وفيه زيتون كثير ومن سائر الاثمار وفي البستان خمسة عيون ماء طيب · وايضاً في هذا البستان كنيسة على اسم السائح انوفريوس]

ومن دير اللجاة تصعد الى جبل القديسة كاترينا وهو عالٍ وصعب المسلك نحو اربعة اميال [ولما ان تبلغ اعلاه تلقاه جميعهُ حجر صخرة واحدة] · وفي راس هذا الجبل كان جسد القديسة كاترينا لانها لما استشهدت في الاسكندرية طلبت من الله ان يكون جسدها في جبل طور سينا المقدس فلما ان ضربوا عنقها حملت الملائكة جسدها ووضعوهُ في هذا الجبل · وبقي الجسد في هذا الجبل سنين كثيرة [وملاكان جالسان عندهُ يحفظانهِ الليل والنهار تلك المدة جميعها] الى ان اراد الله وكشف امرهُ لاسقف (٣ دير طور سينا فذهب الاسقف والكهنة وجاءوا بهِ الى الدير المقدس [ووضعوهُ في الكنيسة الكبيرة] ومن ذلك اليوم سميت الكنيسة الكبيرة باسم القديسة كاترينا (٤ على ما هو مكتوب في التواريخ والموضع الذي كان فيهِ جسد القديسة ظاهر في الصخرة الى اليوم والى انقضاء الدهر كذلك والموضع الذي كان فيهِ الملاكان جالسين الواحد عن اليمين والآخر عن الشمال

---

١) يريد القلالي والحابس التي كان يزهد فيها اولاد الملوك

٢) وهو المدعوّ دير زونا في رحلة خليل صبّاغ في المشرق (٢ : ١٠٠٤)

٣) ويروى : وكُشف عن امرها الى واحد من اساقفة ٤) وفي النسخة الثانية : لان في الجبل ملاكين واحد عن اليمين والآخر عن اليسار حافظين جسدها

ثم تعاود الى دير اللجاة ومنـهُ تمشي نحو ميل فتلقى الصخرة التي ضربها موسى في البرية واخرج منها اثنتي عشرة عين ماء وكان بنو اسرائيل يشربون منها وعلوها قامتان [وكذلك عرضها ومنها ايضاً تمشي ميلاً فتلقى كرماً كبيراً ومنهُ تمشي فتلقى ديراً كبيراً وبابه حديد وقدامه بستان واثمار كثيرة وبقل برسم الرهبان وهذا الدير يسمَّى دير الربوة وفيهِ كنيسة على اسم الرسل وقلالي كثيرة وقريباً من هذا الدير بستان المرستان فيـهِ من سائر الاثمار وانشأهُ انبا داود الكرجي وكان من قديم الزمان فيهِ ثلاث كنائس والان ليس لها سقف]

[وايضاً تمشي من دير الربوة نحو ثلاثة اميال الى دير الفقراء وفيهِ كنيسة على اسم القديسين قزما ودميانس وفيهِ قلالي كثيرة وعليهِ باب حديد وفيهِ كرم كبير وزيتون كثير وبستان فيهِ اثمار مختلفة وفيهِ خمسة عيون ماء]. وتمشي من جانب الغربي نحو رمية حجر الى الموضع الذي انفتحت فيهِ الارض وابتلعت داثان وجماعة ابيروم لمَّا قاموا على موسى النبي. وتمشي من دير الفقراء ميلاً وتنحدر الى وادي يسمَّى وادي طلاح وفي راس هذا الوادي دير كان حبساً وقانوناً برسم الرهبان المتوحدين على زمان القديس يوحنا صاحب سلَّم الفضائل الذي سكن فيهِ وكتب الكتاب المسمَّى سلَّم الفضائل واقام في هذه المغارة مدَّة اربعين سنة وبعد ذلك صار لدير طور سينا راعياً (١ (ومن هذه المغارة تعاود الى دير طور سينا وهو نحو خمسة اميال)

(يا اخي الروحاني هذه هي صفة الدير طور سينا المقدس واما مؤنة الاباء الرهبان فجميعها من مصر وذلك من قمح ودقيق وحبوب وكسوة ومأكول ومشروب الجميع من مصر واما الطريق الذي من مصر مسافة ثلاثة عشر يوماً وجميعه بريَّة خالية واماَّ الزيت والسيرج والربّ وغيره فمن غزَّة ومن الرملة والطريق مسافة ثمانية عشر يوماً ولا يوجد في الطريق غير ماء فقط والكراء اكثر من المشترى لان بريَّة طور سينا لم يمطر عليها الَّا قليل بعد سنين كثيرة)

(وايضاً في الدير اجساد قديسين كثيرة وآثار كثيرة مقدسة ولم يوجد في الدير شي من الهوام اصلاً كما قلنا جملة كافية وجميع الحبوب التي تدخل اليه من القمح وغيره من

١) هنا تنتهي النسخة الثانية التي مرَّ وصفها في مقدَّمة هذه المقالة . واماَّ نسخة الواتيكان فينقصها ما نجملهُ عنا بين قوسين

سائر الحبوب ما تسوّس ولا تتغير ولو اقامت عشرين سنة وكذلك الخبز . واما الاباء الرهبان فهم في جهاد عظيم مع العربان والزوار وغيرهم من المتردّدين لان اهل البادية على الدائم كل يوم يأتون الى الدير ويأكلون ويطلبون حوائج كثيرة غير الخبز باليد الغالبة وبعضهم يضربون الرهبان ويهينونهم على الغالب لان تلك البريَّة ليس فيها حاكم وجميع اهلها اناس اشرار وتمشي في هذه البريَّة مدة شهرين عرضاً وطولاً وجميع سكانها همج واذا عرض امر من امور الدنيا والعياذ بالله بين الاباء الرهبان وبينهم ولم يطعموهم ويعطوهم جميع الحوايج التي يطلبونها قطعوا الطريق عليهم واخذوا جميع ما يحضر لهم من مصر وغزة) .

(وايضاً يا اخي الحبيب لما ان تريد تسافر من الدير المقدس لطور سينا الى بندر الطور تمشي من الدير قبل نصف يوم كبير في سهل وتنزل في وادٍ يسمى وادي اسلا وهذا الوادي كان في قديم الزمان سبق لابهات طور سينا وفي هذا الوادي مياه كثيرة حلوة وتمرّ او تمشي فيه يوماً كبيراً ولما ان تخرج تمشي غرباً في بعض سهل واكثرهُ رمل نصف يوم كبير الى بندر الطور واسمهُ بالرومي رايثوا وهو على شط بحر الاحمر وهو مينا مراكب الهند الذين يجلبون البهار وللتجار الذين يسافرون الى الهند والسند والى اليمن والى عدن وسواكن والى كلكوت واكثر سكان الطور نصارى منسّيون)

(وتمشي من بندر الطور غرباً نحو اربعة اميال فتلقى ديراً ما لهُ سقف ويسمى دير رايثوا والقديس يوحنا صاحب سلم الفضائل لما ان كتب كتابه المذكور ارسلهُ الى رئيس هذا الدير) والابهات الذين كانوا ساكنين فيهِ استشهدوا واجسادهم في دير طور سينا وقدام هذا الدير بئر ماء نبع حلو ويشرب منهُ سكان الطور والمسافرون

وتمشي من هذا الدير قدر ميل غرباً الى ساليم الذي يذكرها الكتاب ويقول ان موسى النبي اقتاد بني اسرائيل الى بريَّة ساليم وكان فيها اثنتا عشر عيناً من الماء وسبعون نخلة اما الاثنتا عشر عيناً فباقيات على حالها الى اليوم والى ابد الدهر وفيها ينبوع سخن يغتسل فيه اهل الطور وباقي الناس واما النخل فقد كثر وزاد ولم يقدر احد ان يحصيه اكثره لدير طور سينا

وتمشي من هذا الموضع غرباً في جبل فوق النخل وهو كبير حجر ابيض واسع وهو صعب المسلك وبجانب هذا الجبل من ناحية القبلة بحر الاحمر وفيه تلالي كثيرة عامرة

كانت مساكن للابهات والسياح الذين كانوا في تلك البرّية وقدامهم بئر ماء نبع حلو وفي طرق هذا الجبل من ناحية الغرب الدير الخفي على ما ذكر في كتاب ابهات طور سينا

وأمّا ان تريد تسافر من الطور وترجع الى مصر تمشي غربًا ثلاثة ايام فتلتقي البحر الاحمر وتخوض فيه قدر ميل لان ما بقي طريق يقدر يسلك فيه احد غير هذه الخاضة . وتمشي منها يومًا فتلتقي الطريق الذي يمضي الى دير طور سينا وتمشي في هذا الطريق غربًا الى مصر بالسلامة

واما الطريق الذي من القدس الشريف الى غزة ومن غزة الى دير طور سينا المقدس فهذه مكاتبهُ وذلك انك يا اخي الروحاني تمشي من القدس الى مدينة الخليل ابراهيم نصف يوم كبير وفيه سبعة اغفار . ومن مدينة الخليل الى غزة يومان وفي الطريق خمسة اغفار . ولما ان تريد تسافر الى طور سينا تحتاج ان تأخذ معك جميع ما تحتاجهُ من المأكول والمشروب وتملأ قربتك ماء . لان هذه البرّية هي تيه بني اسرائيل ولم يوجد فيها لا مدينة ولا قرية ولا خان ولا منزل ولا موضع لكن هي برّية قفرة خالية واكثرها رمل . اين ما أمسيت ارسيت وتسمّي جملك لان هذه البرّية ما يسافر فيها غير الجمل

ومن غزة تمشي اربعة ايام الى وادي العريش وماؤهُ مالح ومن وادي العريش تمشي يومين الى منهل يسمّى الحسنة والماء مالح مرّ . ومن الحسنة تمشي ثلاثة ايام الى وادي نخل وماؤهُ مالح وفيه بئران عميقان جدًا وينشاون الماء منهما على مدار جمال الى بركتين كبيرتين وعلى هذا المنهل يقيم الحاج المصري والحاج التكروري (؟) والحاج القطوي (؟)

ومن هذا المنهل تمشي ثلاثة ايوم الى نقب الراكنة وفيه ماء حلو ومن نقب الراكنة تنحدر في عقبة صعبة جدًا نحو يوم الى الرملتين . ومن الرملتين تفارق طريق الطور وتمشي ثلاثة ايام كبار الى منهل يسمّى الاخضر ماؤهُ مالح ومن هذا المنهل تمشي يومًا الى دير طور سينا وتدخل الى الدير المقدس بالسلامة جعلهُ الله عامرًا الى دهر الداهرين امين — هذا ما انتهى الينا من معرفة دير طور سينا المقدس ومن طريق غزة ومصر

رزقنا الله تعالى دعاء الكنائس والساكنين فيها والمهتمين بها بشفاعة ماري موسى النبي والسيدة والدة الاله وكاترينا المغبوطة وجميع القديسين امين

زواج الاكليروس

نظر لاهوتي تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

من آفات عصرنا حكَّة في اللسان ومثلها في القلم تحمل البعض على الخوض في امور يجهلونها وعلى النزال في ميادين ليسوا هم من فرسانها . وربَّما طرحوا للمباحثة مسائل لطيفة تُبتذل وينحطّ شأنها اذا ما انتشرت على رؤوس الملإ شأن الخريدة العذراء التي تزيد بهاء في خدرها وتفقد محاسنها ان تعرَّضت لنظر كلّ السابلة او كالزهرة البهيَّة تذوي وتذبل اذا ما تداولتها الايدي بعد قطعها من غصنها وخروجها من حديقتها

وممَّا اقترحهُ احد الادباء على الكتبة — وليتهُ لم يفعل — البحث في صلاحية زواج الاكليروس فكثر القال والقيل في هذا الامر في مجلَّتي الحقيقة والنور وغيرهما . فحمي وطيس الجدال وثار غبار الجدال فلم يعد يليق بنا السكوت في مجلَّة دينيَّة اوقفت نفسها لبيان الحقيقة وللدفاع عن رسوم الكنيسة لاسيَّما اننا نعلم بان الذي طرح هذه المسئلة للبحث ينتظر في ذلك رأينا فها نحن نبدي بهِ صريحًا مؤيدين قولنا باوضح الحجج واصدق البيّنات

*

لا خفاء بان الزواج من السُّنن الطبيعيَّة التي سنَّها الخالق منذ اوَّل الخليقة اذ بارك للابوين الاوَّلين وقال لهما بل لكلّ ذرّيتهما على لفظ الجمع (تك ١: ٢٧) « انموا واكثروا واملأُوا الارض واخضعوها » ولم يتهدَّدهم عزَّ وجلَّ بالعقاب ان لم يفعلوا لعلمهِ بان الانسان كما الحيوان كما النبات مدفوع بكل قواهُ الى ان يتَّخذ لهُ شبيهًا بهِ يواصل من بعدهِ حياتهُ الادبيَّة ويقوم مقامهُ في خدمته للهيئة الاجتماعيَّة

ولمَّا ظهر ابن الله على الارض وتردَّد مع البشر لم ينقض هذه السنَّة البتَّة بل اوثق عروتها واصلح منها ما افسدهُ القلب البشري والاهواء الباطلة فجعل الزواج سرًّا مقدَّسًا كتبيَّة اسرار البيعة وبذلك رفعهُ الى مقام جليل لم تعرفهُ من ذي قبل الامم الوثنيَّة بل شعب الله نفسهُ . ولذلك قد تلطَّف السيد المسيح وحضر مع والدتهِ

الطاهرة وتلاميذه عرس قانا الجليل وشاء اجلالاً لسرّ الزواج ان يقدّم ساعة آياته ليصطنع تلك المعجزة الباهرة باكورة خوارقه اعني تحويل الماء خمراً (يوحنا ٢ : ١—١١)

وقد تعقّب الرسل آثار السيّد المسيح بتعظيم سرّ الزواج والتنويه برفعة منزلته وبالخصوص بولس الرسول الذي اختصر في رسائله قوانين هذا السرّ . قال في رسالته الاولى الى اهل كورنتس (٧ : ٣) : «بسبب الزنى فلتكن لكل واحدة رجلها» . وقال فيها (٧ : ٣٨) : «من زوّج عذراءهُ حسناً يفعل» . بل لم ينكر الرسول الزواج الثاني وقد قال في رسالته الاولى الى تيموثاوس (٥ : ١٤) : «أحبّ انّ الفتيات (يريد من الارامل) يتزوّجن ويلدنَ البنين ويدبّرنَ البيوت» . وقد بيّن في رسالته الى اهل افسس (٥ : ٣١—٣٢) سبب عظمة هذا السرّ حيث قال : «يترك الرجل اباهُ وأمّهُ ويلزم امرأتهُ فيصيران كلاهما جسداً واحداً . انّ هذا السرّ عظيم . اقول هذا بالنسبة الى المسيح والكنيسة» . فبهذا الكلام اوضح الرسول بانّ الزواج المسيحي رمزٌ الى زواج عجيب يفوق الادراك اعني اقتران المسيح مع الكنيسة واتحاد الطبيعة الالهيّة بالجبلة البشريّة

ولذلك لم تزل الكنيسة تناضل عن شرف هذا السرّ وتكافح كلّ الاهواء البشريّة صوناً لرتبته . ولمّا حاول اهل البدع ان ينقضوا ما ابرمهُ المسيح وتلاميذهُ ويزيّفوا الزواج زاعمين انهُ من اعمال الشرير تصدّى لهم الآباء وردّوا عليهم وصوّبوا اليهم سهام الحرم فأفرزوهم من جماعة القطيع المقدّس

فمع تسليمنا بكل هذه القضايا واعتبارنا لسرّ الزواج القانونيّ كما رتّبهُ السيّد المسيح وجرت عليهِ الكنيسة منذ عشرين قرناً بقي علينا ان نبحث في زواج الاكليروس خصوصاً . وقبل الخوض في هذا الموضوع لا بُدّ من تقديم بعض ملحوظات كتمهيد لقولنا :

اوّلا انّ الزواج مع كونهِ امراً طبيعيًّا تسوق اليه الطبيعة وحتم بهِ الخالق للجنس ليس هو امراً حكم بهِ الربّ على كلّ فرد من افراد الجنس اذ لا اثر لمثل هذا الحكم اللازب في سفر التكوين عند خلقة الابوين الاوّلين . وكذلك في كلّ اسفار العهد القديم لا تجد مطلقاً امراً يوجب الانسان بالزواج . وكلّ يعلم انّ بني اسرائيل كانوا يجلّون الابوّة والامومة ويعتبرونهما كاعظم دليل على بركة الله . وكذلك الشعوب

القديمة والمشترعون الكبار بين اليونان وغيرهم لم يخطر على بالهم قط ان يجعلوا الزواج اجباريًا مع اتخاذهم الوسائل للترغيب فيهِ ومجازاتهم لارباب العيال الكثيرة وتقديمهم للمزوَّجين على الاعزاب في المراتب

ثانيًا لم يغيّر السيّد المسيح ورسلهُ الكرام شيئًا في هذه السنّة . وانما رفعوا كما رأينا رتبة الزواج ليزيدوهُ اعتبارًا في اعين الناس

ثالثًا قد تقضي احوال كثيرة بترك الزواج لدواعي مختلفة منها جبريّة ومنها اختياريّة فمن ذلك اسباب صحيّة كالامراض والعاهات . ومنها امور المعاش كالفقر وقلّة ذات اليد . ومنها طوارئ الحياة كالاسفار . ومنها الخير العام كالتجنُّد وخدمة الوطن . ومنها ايضًا التفرُّغ لبعض امور العقل كالدرس والعلوم . وكلّ هذه الاسباب وغيرها قد استصوبها الناس لم تأخذ اصحابها فيها لومة لائم

رابعًا ليس صلاح الهيئة الاجتماعيَّة بكثرة المواليد لكنها تقوم خصوصًا بتهذيب الافراد وحسن تربية الشبيبة وتأسيس روح الدين في قلوب الجموع والحيادة عن البذخ واللذّات وقطع دابر الشهوات الباطلة والسلوك في الآداب الحسنة وكلّ هذه الشروط لا يستوفيها المتزوّجون الّا بان يقوم بينهم من يضحّي في سبيل خيرهم وخير اولادهم كل هموم الابوّة ويتجرّد عن محبّة ذويهِ ليخصّ بمحبّتهِ قريبهُ

هذه الملحوظات وغيرها ممّا يضيق المقام عن تعدادها تبيّن صريحًا انّ ليس كلّ عزوبة مرذولة . وانّ البتوليّة في بعض الاحوال تستحقّ التفاتًا خصوصيًا لا بل تستوجب الشكر والممنونيّة لاصحابها

فان كان الامر كما قلنا دعنا ننظر أتليق العزوبة بالاكليروس العالمي (فضلًا عن الرهبان الذين لا ينكر اثنان انّ العفّة احد فروضهم اللازبة لا تقوم دعوتهم دونها) ونبيّن القضيّة اوّلًا نظريًّا ثمّ نستقري بعد ذلك كتب التاريخ الديني والمدني لعلّنا نجد فيها جوابًا شافيًا على هذا المشكل

*

هو الكهنوت يقرّب الانسان من الله ويفرزهُ لخدمة الاقداس ويجعلهُ وسيطًا بين السماء والارض . ولذلك قد عرفت الشعوب القديمة قدرهُ واجلّت اصحابهُ وكادت تعتبرهم من جنسٍ يفوق الطبيعة البشريّة . وممّا كانوا يطلبونهُ خصوصًا في كهنتهم

العفاف والتجرّد عن ملاذ العالم لعلمهم بأنّ الاله متنزّه عن الارجاس لا يرضى بشيء رضاهُ بالنفس الطاهرة . ولذلك ترى الامم جمعاء على اختلاف نزعاتها وتباين اديانها تفرض على كهنتها امَّا العفَّة الدائمة وامَّا العفّة الموقّتة على الاقلّ . فهذه كهنة ايزيس في مصر وكهنة ألوسة في اليونان وبعض فروع البراهمة في الهند كانوا يتفاخرون بالتبتّل . قال ديموستان الخطيب اليوناني في ردّه على تيموكرات : « انَّ الذي يدخل القدس ويمس الآنية المفرزة لخدمة الالهة ويتولّى المناسك الدينيَّة يترتّب عليه العفاف ليس فقط أيَّاماً معلومة ولكن مدة حياته كلها » . وكان العفاف في الكواهن مستحبَّاً حتى شاع هذا المثل بين القدماء : « ان الكاهنة العذراء ارقى طبيعةً من المرأة » ومن ثمَّ كانوا يختارون العذارى لخدمة إلهة الحكمة مينرفة والهة الصيد والقنص ديانة وإلاهات الفنون الجميلة . وكانت العذارى في رومية يتولّين سدانة هيكل فستا كما كنَّ يتولّين في فارس خدمة هيكل الشمس وفي بابل حراسة هيكل بالوس . وكنَّ اذا اتين اثماً مخالفاً للعفاف يعاقبن اشدَّ العقاب شأن من ينتهك حرمة القدسيَّات

ولم يُجهَل في العهد القديم شأن التبتل الديني رغماً عن اعتبار بني اسرائيل الزواج القانوني . ومن الشواهد على ذلك انَّ الكهنة في ايام خدمتهم للهيكل كانوا يمتنعون عن ازواجهم فلا يأكلون خبز الاقداس الَّا اطهاراً (١ ملوك ٢١ : ٤) . بل فرض الله على كلّ الشعب الَّا يقربوا امرأة ليستعدُّوا لظهور الربّ في طور سينا (خروج ١٩ : ١٥) وكذلك الانبياء كانوا اذا حضُّوا على التوبة وارضاء الخالق بالانابة ذكروا في جملة اعمالهم الحيادة عن الازواج (يوئيل ٢ : ١٦) . وفي سفر المكابيين الثاني (٣ : ١٩) انهُ كان قرب الهيكل مكان أفرز للعذارى . وقد افادنا يوسيفوس في كتابهِ المعنون بالحرب اليهوديَّة (ج ٢ ك ٨ ع ٢ – ٧) بان فئة الزهاد المعروفين بالأسانيين كانوا يعيشون متبتلين . وكل ذلك دليل على ان اليهود كانوا يرون في البتوليَّة حالة كمال وقداسة اذا ما باشرها الانسان حبّاً بهِ تعالى لينقطع لخدمتهِ متجرّداً عن الحواس وشهوات البدن . وزد على ذلك أنّ كثيرين من كبار الانبياء في العهد القديم عاشوا في العفاف الدائم كملكيصداق واليا واليشاع ودانيال وخصوصاً يوحنا المعمدان الحصور وشهيد قداسة الزواج . فانَّ هؤلاء وغيرهم كانوا من اولياء الله الممتازين فلولا معرفتهم بأنَّ البتوليَّة ترضي الله وتصيب لديهِ الحظوى لما حملوا عبء العفّة وضحّوا لاجلها ملاهي العالم

فان كان هذا اعتبار العهد القديم للتبتُّل فما قولنا بالعهد الجديد الذي بلّغ اهلهُ ذروة الكمال . فانَّ البتوليّة اضحت في الكنيسة كاحدى حليها التي تزينها باكليل من المجد في اعين السماء والارض

وقد مشى المسيح البتول في مقدّمة شعب الله وكأسهِ الادبيّ يحدق بهِ قومٌ من الابرار الذين نبذوا كلّ شهوات العالم فكانت والدتهُ عذراء وابوهُ بالذخيرة بتولًا ومعظم رُسلهِ اعفّاء . وكان يعد بالمئة ضعف من يترك لاجل اسمهِ اباهُ وامَّهُ وزوجتهُ . ويرينا يوحنّا الرسول في كتاب الرؤيا (١٤ : ٤) عرش الحمل محفوفًا بالعذارى والمتبتلين الذين يتبعون الحمل حيثما سار . كما انَّ صاحب المزامير (مز ٤٤ : ١٥) يصف الكنيسة على صورة ملكة تكتنفها العذارى فيصحبنها ويخدمنها بالعفاف بل كثيرًا ما وصف بولس الرسول ويوحنّا الحبيب بيعة الله كعذراء طاهرة اختصّها المسيح لنفسهِ واصطفاها لطهارتها الفائقة

فان كانت هذه منزلة العفّة في العهد الجديد قل لي ناشدتك الله بمن تليق هذه الحالة لياقةً اعظم الّا باولئك الذين جعدوا الارضيّات لينتظموا في سلك ميراث الربّ ؟

ولا تقل انَّ الكهنة في العهد القديم كانوا ايضًا ميراث الربّ ولم تُفرَض عليهم سنّة البتوليّة . فانَّ البون بين اولئك وهؤلاء كالفرق بين الثريّا والثرى فانَّ الكهنوت القديم كان كهنوتًا منحصرًا في سبط واحد يُتوارث بالتناسل وكان بنو لاوي يقدّمون ضحايا غير ناطقة ويخدمونهُ تعالى بالرموز موقتًا الى ان يضمحلّ الظلّ وتظهر الحقيقة وكانت خدمتهم لا تتجاوز الخارج وتأتي بالنوبة . امَّا كهنوت العهد الجديد فانهُ كهنوت روحي يعمُّ كل اقطار الارض والكاهن المسيحي يقدّم ضحيَّة طاهرة تعلو فوق كلّ ادراك . يلبس شخص المسيح فباسمهِ يعمّد وباسمهِ يحلّ عن الخطايا وباسمهِ يجدّد ضحيَّة الجلجلة . يدخل الى باطن القلوب فيغسلها ويردّ لها ثوب البرارة المفقود ويفتح لها باب السماء وفعلهُ هذا يوميّ بلا انقطاع ففي كلّ ساعة يُطلَب الكاهن لعيادة المرضى ولاصلاح الخصوم ولتوزيع الاسرار وللسير وراء النعجة الضالّة ولتبرير الابن الشاطر . هذا الى ما يُفرض على الكاهن بان يقيم الصلاة القانونيَّة ويهذّب مرؤوسيهِ ويعلّمهم مبادئ الخلاص ويهديهم الى مراعي القداسة الخصبة فيكون

ابًا للصغار ومرشدًا للضالين ونورًا للعميان ومساعدًا ودليلًا وصديقًا لكلّ محتاج ولهيف وقدوة لكلّ الفضائل المسيحيَّة حتى يصير مثل المسيح ربّهِ قديسًا بريئًا زكيًا متزَّهًا عن الخطأة (عبر ٧ : ٢٦) . فلعمري كيف يقوم بكل هذه الواجبات المقدسة ان كان متأهلًا منقطعًا لخدمة بيتهِ يقضي وقتهُ في اكتساب معاش ذويهِ وكسوة عيالهِ همُّهُ في حطام الدنيا شاء ام أبى . بل كيف يضحّي ذاتهُ في سبيل رعاياهُ اذا اصابتهم عدوى من طاعون وجدري وهو لا يخاف فقط على نفسهِ بل على اهل بيتهِ . وكيف . . . وكيف . . .

وقد اقرَّ بذلك الهراطقة انفسهم الذين خرجوا من حجر الكنيسة واطلقوا العنان لشهواتهم . فدونك ما كتبهُ لوتاروس زعيمهم لمَّا سمع اوَّل مرة بأنَّ اشاعةً اخذوا يستحون الرهبان بالزواج قال : « ان كَرلوستاد يدفع الكهنة العزّاب الى الزواج وغاية ما اخاف من فعلهِ هذا ان يجعلنا اضحوكةً في اعين العالم لا سيَّما انهُ يستند الى اسانيد ضعيفة جدًا لتحليل الزواج . امَّا انا فاو رأيت كلَّ اصحابنا في ڤتمبرغ يتقيَّدون بالزواج فلا اجري قط على مثالهم » لكنَّ لوتاروس لم يلبث ان نسي وعدهُ فتزوَّج بعد ذلك براهبةٍ ولعلمهِ بما يلحقهُ من العار لهذا الفعل لم يجسر ان يحتفل بزواجهِ الموهوم جهارًا فعقدهُ ليلًا امام رجلين من اصحابهِ . ثم تداركهُ منخاز ضميرهِ فكتب لصديقهِ سپالاتي : « اني عرَّضتُ نفسي للذلّ والهوان منذ تزوَّجت فانَّ العالم والعقلاء من اصحابي لم يعودوا يرون في اصلاحي عملًا الهيًا »

ولذلك ترى اليوم في الاكليروس الانكليكاني الذين يتقرَّبون من تعاليم الكنيسة الكاثوليكيَّة ويزيدون خدمة النفوس بالاخلاص والنزاهة ينبذون الزواج ويفرضون على نفوسهم العفَّة المؤبدة

هذا ما يلوح لكل ذي عين باصرة . وعقلٍ متزّهٍ عن الاغراض بخصوص زواج الاكليروس . فبقي ان نفحص عن الامر تاريخيًا لنرى ما اصل هذه السنَّة وهل هي اختراع حديث كما زعم مكاتبو الحقيقة والنور

*

من يا تُرى فرض على الاكليروس العزوبة ؟ أهذا امر مستحدث كما زعم البعض . اسمع الدعو رزق الله في مجلة النور وليأخذك العجب من علمهِ قال (ص ٥٨٦) :

« كيف تغيّرت هذه العادة وامسى زواج الاكليروس امرًا مستهجنًا مستنكرًا ؟ امر بذلك المجمع البندكتي في قانونهِ الثاني عشر » يا لهُ من علم . فانتق وعالم بارع لا يفوتهُ شيء من اسرار التاريخ . ولكن أيسمح لنا ان نسألهُ ما هو « المجمع البنديكتي » الذي ذكرهُ ومتى عُقد وفي اي بلد ؟ اهو مجمع مسكوني او مجمع اقليمي ؟ فليشف جهلنا بعلمهِ لانهُ لدينا مجموع كلّ المجامع وقوانينها في ٣٧ مجلّدًا ضخمًا ولم نعثر على هذا المجمع البنديكتي » ولا غرو انّ علمهُ اوسع من كلّ هذه المجامع

اما ما بلغ اليهِ علمنا القاصر فهو انّ تبتُّل الكهنوت يرتقي الى السيّد المسيح ورسلهِ ثمّ ادخلتهُ الكنيسة شيئًا فشيئًا في مصافّ اكليروسها حتى صار كسنّة مرعيّة في اغلب الاقطار

دعا السيّد المسيح الى التبتُّل ليس فقط بمثلهِ كما سبق بل باقوالهِ ايضًا

جاء في انجيل متى (١٩ : ١٠–١٢) انّ رسل المسيح لمّا سمعوا سيّدهم يحظر عن الطلاق ولو بعلّة الزنى وجدوا الامر صعبًا فصرخوا : « ان كانت هكذا حال الرجل مع امرأتهِ فاجدر لهُ الّا يتزوّج » فقال لهم : ما كلّ احد يحتمل هذا الكلام الّا الذين وُهب لهم » ثم انتهز الفرصة ليعلمهم بما هو ارفع من الزواج فقال : انّ من الخصيان من وُلدوا كذلك ومنهم من خصاهم الناس ومنهم من خصَوا انفسهم من اجل ملكوت السماوات . فمن استطاع ان يحتمل فليحتمل » فبقولهِ هذا عزّ وجلّ بيّن صريحًا وجود التبتُّل الاختياري لاجل ملكوت السماوات

ثمّ زاد الرسول تصريحًا في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتوس اذ عرض التبتُّل على المؤمنين وكلامهُ اجدر واحقّ بالاكليروس كما لا يخفى . ففي الفصل السابع من هذه الرسالة كلام عسجديّ واضح في شرف البتوليّة فبعد ان اثبت الرسول صلاحيّة الزواج اردف بقولهِ ما نصّهُ (٧ : ٦) « وانا انا اقول ذلك على سبيل الاباحة لا على سبيل الامر » ثم تخطّى الى تفضيل البتوليّة (٧ : ٧–٤٠) قائلًا : « اني اودّ لو يكون جميع الناس مثلي . . . واقول لغير المتزوّجين وللارامل انهُ حسن لهم ان يبقوا على هذه الحال كما انا . فان لم يتعفّفوا فليتزوّجوا فانّ التزوّج خير من التحرُّق . . . اني اريد ان تكونوا بلا همّ فانّ الغير المتزوّج يهتمّ فيما للربّ كيف يرضي الربّ واماّ المتزوّج فيهتمّ فيما للعالم كيف يرضي امرأتهُ فهو منقسم . والمرأة غير المتزوّجة والعذراء تهتمّ فيما للربّ لتكون

مقدّسة في الجسد وفي الروح وامّا المتزوّجة فتهتمّ فيا للعالم كيف ترضي رجلها ...»

فترى من هذا الكلام سموّ مقام البتولية التي يشير بملازمتها الرسول حتى على العالمين. فليت شعري اليس هذا الكلام احقّ بالكهنة الذين دعاهم الله الى حالة اسمى وارفع من دعوة بقيّة المسيحيين؟ اليس لهم يقول الرسول بانهم لا يستطيعون ان يكونوا «منقسمين» بين خدمة الربّ وخدمة العائلة

وكأني بلاهوتيّ «النور» يوقفني عند حدّي فيقول مالك لا تذكر قول بولس لتيموتاوس (الرسالة الاولى ٣: ٥) ولتيتوس (١: ٦) وهو يكرّر مرّتين بان الاسقف يجب ان يكون «رجل امرأة واحدة». فان صحّ زواج الاسقف فكم بالحري يصح زواج الكهنة

بئس الاحتجاج فان كاتبي الحقيقة والنور خبطا بشرحهما لهذه الآية خبط العشواء. ولو رجعا الى المفسّرين الأثبات لوجدا حلّ هذا المشكل الذي لا يعتاص فكّهُ على كثيرين من البسطاء. اعلم يا صاح انَّ في اول الكنيسة كان الرسل لقلّة عدد النصارى يحتاجون الى وضع الايدي على رأس المتزوّجين ليهدوا اليهم برعاية اخوتهم فكأن الرسول يقول لتلميذه: اختاروا للاسقفية رجالاً افاضل متّصفين بالصفات الحسنة وليكونوا غير مقيّدين بالزواج فان لم يوجد غير المتزوّجين فانتخبوا الذين تزوّجوا سابقاً بامرأة واحدة حيّة كانت او ميتة ليس الذين ترمّلوا فعادوا ثانيةً الى الزواج. وشتّان بين هذا التفسير وتفسير الذين يزعمون انهُ يجب الزواج على الاساقفة. ولو كان تفسير المناظر صحيحاً لوجب على بولس ان يتزوّج ويفرض على تلميذيه الزواج مع أنّا سمعناهُ يتمنّى ان يكون الكلّ مثلهُ غير مقيّدين بالزواج. وما يدلّ على صحّة تفسيرنا انَّ الآباء هكذا فهموهُ منذ اوائل النصرانيّة. لنا شاهد على ذلك في كتاب العفّة لترتليان حيث يستند الى آية الرسول لنبذ زواج الارامل

وعلى هذه الصورة ينبغي تفسير ما ورد في قوانين الرسل حيث يقال «فليكن الاسقف بعل امرأة واحدة» لا انهُ يباح للاساقفة التزوّج كما يزعم المقترح للزواج على الاكليروس في مجلّة النور

امّا هل كان يجوز للمرتبطين بالزواج ان يساكنوا ازواجهم ويلازمونهنّ عند دخولهم في الخدمة الاكليريكيّة فالمرجّح انهُ كان يُفصل بينهم. والشواهد على ذلك ليست

بتقليد : جاء في كتاب النظام الكنسيّ الراقي الى القرن الثاني للنصرانيَّة والمنسوب الى الرسل انهُ يُقضى على الاساقفة والكهنة ان ينفصلوا عن نسائهم (١ . وكذلك في تعليم اديّ بالسريانيَّة وهو من اواسط القرن الثالث انَّ كلَّ الذين كانوا منقطعين لخدمة الكنيسة رجالًا ونساء كانوا يعيشون بالعفَّة

وقال القديس كيرلُّس الاورشليميّ في شرحهِ الثاني عشر على التعليم المسيحي (ع ٢٥) وهو يقابل بين عفَّة العذراء مريم في ولادة المسيح وعفَّة الكاهن « أما كان يليق انَّ الهُ الطهارة يخرج من احشاء طاهرة ؟ كيف لا ونحن نرى الذين يحسنون الخدمة في كهنوت المسيح يمتنعون عن ملازمة النساء . أفكان يسوع يستطيع ان يولد من زرع بشريّ ؟ »

وكان مجمع البيرة في اسبانية وضع قانونًا صريحًا في منع زواج الاكليروس في كلّ درجاتهِ العليا سنة ٣٠٥ فقال في القانون ٣٣ « قد حسن في اعين الآباء ان يُفرَض على الاساقفة والكهنة والشمامسة والذين يدخلون في خدمة الهيكل الامتناع عن ازواجهم وعن توليد البنين وان خالف احد منهم فليقطع عن رتبتهِ »

والشواهد على تبتُّل الاكليروس في القرن الرابع والخامس عديدة ليس في بلاد الغرب فقط بل في الشرق ايضًا . اسمع القديس هيرونيموس في ردِّهِ على يوبنانوس (ك١ع٣٤) : ألا تقرّ بأنَّهُ لا يمكن الاسقف ان يبقى في اسقفيَّتهِ متزوّجًا واذا ما عرف امرأتهُ فان فعلهُ هذا يُعدّ كزنى » . وقال في رسالتهِ ٤٨ الى پمَّاكيوس (ع ٢١) : « الاساقفة والكهنة والشمامسة لا يُختارون الَّا ارامل امَّا اذا كانوا متزوّجين فيُحتَم عليهم الامتناع عن حقوق الزواج »

والقديس هيرونيموس ما هو اصرح ايضًا في عادة زمانهِ قال في ردِّهِ على ڤيجيلانسيوس (مجموعة مين ج ٢٣ ص ٣٤١) الذي كان يزعم مثل البعض في زماننا انهُ ينبغي الزواج على الاكليروس « ان صحَّ مذهبك ماذا تقول عن كنائس الشرق وعن كنائس مصر وكنيسة رومية وكلّ هذه الكنائس لا تقبل في جملة اكليروسها

(١ Bickell: *Gesch. d. Kirchenrechts*, I, 107 « δεῖ οὖν εἶναι τούς πρεσβυτέρους ἀπερχομένους τῆς πρὸς γυναῖκας συνελεύσεως »

الأ متبتّلين او اعفائنا وهي تفرض على من يريد الانتظام في خدمة الكنيسة ان يقطعوا كل علاقة مع ازواجهم اذا ما كانوا متزوجين

وكذلك حتمت كنائس افريقية سنة ٣٩٠ (ع٣) ما تعريبهُ: «قد رضي الآباء بان يعيش الاساقفة والكهنة والشامسة في العفة كما يليق بمن يخدمون الاسرار المقدسة وليستمدّوا من الله بالصلاة ان نحفظ نحن ايضاً تلك السنّة التي علّمنا اياها الرسل وجرت عليها العادة القديمة». وهو كلام جدير بالاعتبار اذ يعزو للرسل سنّة العزوبة الاكليركيّة ويثبت أنها عادة قديمة مرعيّة. وكان البابا سيريقيوس سبق في مجمع روماني فقرّر انفصال الاكليريكيين المتزوجين عن نسائهم وذلك سنة ٣٨٦. وقد اثبت هذا القانون البابا اينوشنسيوس الاول سنة ٤٠٤

ولنا في تآليف اوسابيوس المعروف بابي التاريخ الكنسي شهادات واضحة على العزوبة الكهنوتيّة في عهده. وفي كتابه المسمّى بالايضاح الانجيلي (ك ١ فر ٩) يبحث عن سبب الفرق الموجود بين الكهنوت القديم والكهنوت المسيحي من قبيل الزواج فيجيب «ان الكهنوت القديم كان كهنوتاً جسديّاً فلذلك كان الله جعلهُ في سبط معلوم يتوارثهُ البنون عن آبائهم. امّا الكهنوت الحديث فهو كهنوت روحي مجرّد عن الجسديّات فلا يمكنهُ ان ينحصر في ولد او ولدين لكنهُ يشمل عدداً كبيراً من بني الله»

وفي اعمال القديس ابيفانيوس اسقف قبرس عدّة شواهد على ائتلاف الاكليروس للبتوليّة. فانهُ في ردهِ على بدعة منتانوس (البدعة ٤٨ ف ٩) يصرّح «بان الكنيسة وفقاً لقانون رسولي تأمر الكهنة بالاعتزال عن نسائهم». وفي ردّهِ على البدعة ٥٩. يكرّر قولهُ «بأن الكنيسة لاكرامها رتبة الكهنوت لا تقبل في مصاف الاساقفة والكهنة والشامسة الانجيليين حتّى الرسائليين المتزوجين منهم الّا على شرط مهاجرتهم لنسائهم

ويوافق القديس يوحنّا فم الذهب معاصرهُ ابيفانيوس في هذا الشأن. وفي اعماله تدبير واسع في البتوليّة وشرفها وانتشارها في الكنيسة. وهو يشرح آية الرسول في الاسقف ذي المرأة الواحدة كما شرحناها. ولمّا علم ان اسقف افسس انطونينوس كان يعيش مع امرأتهِ ازالهُ عن كرسيهِ

هذا ولا ننكر انّ في بعض الامكنة كان يسمح للاكليريكيين المتزوجين بان

يساكنوا نساءهم الّا انّ هذا التسامح بطل شيئاً فشيئاً اوكان يجري كما يقول القديس ابيفانيوس في الفصل المذكور آنفاً « على خلاف القانون الكنسي »

فمّا سبق ترى كذب القائلين بان عزوبة الاكليروس اختراع حديث من المجمع البنديكتي (؟) وذلك خوفاً من ان يتسلط الاساقفة على اموال الكنائس والاوقاف ويختلسوا المال المقدّس لعيالهم (النورص ٥٨٦)

وأن سأل السائل وكيف اذن يؤذن اليوم لكهنة الطوائف الشرقيّة بان يلزموا نساءهم وان يولدوا الاولاد والكنيسة الرومانيّة لا تنكر عليهم ذلك فلولا انّ هذه العادة قديمة لما ألفها الشرقيّون مع مراعاتهم للقديم. نجيب انّ زواج الاكليريكيين الذي كان اوّلًا كالشواذ يُتسامح به في بعض الامكنة انتشر بواسطة بعض الشرائع المدنيّة التي سنّها امبراطرة القسطنطينيّة لاسيما يستيان في القرن السادس فاخذ قوم من الاكليروس يجرون عليها خلافاً للقوانين الكنسيّة وبقي ذلك مدّة رغماً عن العادة المخالفة. ومن المعلوم انّ في الامور الواسعة يصعب اصلاح العادات لاسيّما اذا كان المخالف يجد لهُ سنداً في السلطة الخارجة

واتّسع الخرق شيئاً فشيئاً حتى عقد المجمع السادس سنة ٦٩٢ في القسطنطينيّة وهو المجمع المسكوني السادس. فانّ آباء هذا المجمع رذلوا بدعة المشيئة الواحدة وقرّروا التعاليم الدينيّة المثبتة من المجامع الاولى. وقد صادق الكرسيّ الرسوليّ على هذه القرارات. لكنّهم لم يكتفوا بذلك فوضعوا بعض رسوم نظاميّة من جملتها التسامح مع الكهنة والشمامسة المتزوجين قبل سيامتهم بان يعيشوا بصحبة ازواجهم. وهذه الرسوم ليس فقط لم يوقّع عليها الحبر الروماني وهو القديس سرجيوس الاوّل. بل رذلها وابطلها بسلطته الرسوليّة ولم يخفْ تهديدات يستيان الثاني المعروف بالاخرم ليغصبهُ على قبولها

أمّا الشرقيون فان كثيرين منهم اعتبروا هذه الرسوم كقانونيّة وعملوا بها ولمّا عادوا من الهرطقة والشقاق الى حجر الكنيسة الرومانيّة او جدّدوا الطاعة الى احبارها غضّ هؤلاء النظر عن الكهنة المتزوّجين ولم يشاؤوا ان يضطرّوهم على قطع علائق الزواج التي تقيّدوا بها قبل الكهنوت. وانّما تركوا ذلك لاحوال الزمان ولعلّهُ يقتاد بالكهنة دون اضطرار الى التبتّل الذي كاد اليوم يعمّ معظم الاكليروس الكاثوليكيّ الشرقي والامل معقود بانهُ لن يمرّ علينا نصف قرن قبل ان نسرّ بشمولهِ كافة اعضاء الاكليروس

ولا نتعرّض هنا لبعض الحجج السفسطيّة التي يستند اليها بعض العاملين للقول بزواج الأكليريكيين فانّها اوهن من نسيج العنكبوت كقولهم مثلًا بانّ قومًا من الاكليريكيين لم يحافظوا على مواعيدهم ويخرقون حرمة العفة · فلعمري أتقاس القاعدة بالشواذ فان وُجد بعض الاكليريكيين الذين يحنثون بأيمانهم افيُبنى قياس على هؤلاء · وعلى كلّ حال ليست سنّة صالحة ألّا ونخالفها بعض الخالفين · وزد على ذلك انّ الكنيسة لا تضطرّ احدًا على الانتظام في عداد رجال الدين فان رأى انسان انّ كتفهُ لا تستطيع حمل هذا النير فليبقَ في درجته وليعش بين العالميّين

امَّا قول البعض انَّ الكاهن اذا كان متزوجًا عرف احوال رعيّته معرفةً اعظم وامكنهُ بذلك اصلاح آدابهم وتعميم الدين بينهم فهذا محض اختلاق او بالحري كذب حنبريت · فكأن كاتب هذه الاسطار يطلب من الطبيب ان يقاسي مضض الامراض قبل ان يداوي المرضى فتصير معرفتهُ بها تامّةً · ولا نعلم كيف تصلح آداب الشعب اذا رأى الناس كاهنهم مهتمًا بامور الدنيا « منقسمًا » بين خدمة عائلته وخدمة النفوس او كيف ينتشر روح الدين اذا رأوهُ مثلهم ملتهيًا بحطام العالم وملاذّهِ · فلله ما اضعف بضاعة هؤلاء الكتبة الذين يوقفون أنفسهم على اصلاح الأكليروس ولهم لو ارادوا في ما يصلح سلوكهم شغل شاغل فليباشروا باصلاح انفسهم وليدعوا لرؤساء الأكليروس الهمّ باصلاحه · ليس للخراف ان يهدوا الراعي ويُعلموهُ بواجباته وانّما الواجب عليهم بان يكرموهُ ويسمعوا لصوته ويعملوا بمشيئته كما هو ينقاد لاوامر الكنيسة ولمشيئة رؤسائهِ والسلام

معرض خطوط عربيّة قديمة

ARABIC PALAEOGRAPHY

انتقاد للاب لويس شيخو اليسوعي

نُهي العرب عن رسم تصاوير الاحياء من معبود وانسان وحيوان فوجّهوا نظرهم الى تصاوير أُخرى شحذوا بها قرائحهم وابرزوا فيها ما طُبعت عليهِ اذهانهم الوقّادة ألا وهي النقوش الهندسيّة والتخطيطات المتناسقة المندمجة بعضها اندماجًا لطيفًا والاشكال

الفنيَّة البديعة والصور الزاهية المثلة لاصناف النبات وانواع الزهور. وضعوا ذلك على ضروب شتَّى وطرائق متعدِّدة تروق العينَ مشاهدتُها ويأخذ بمجامع القلب تسطيرها وتركيبها. فبلغ بهم نشاطهم الى ان استخرجوا لهم فنًّا عُرفوا بهِ دون غيرهم وشاع عند الاجانب باسمهم فدعوهُ فنَّ النقوش العربية (Arabesques)

ومن فروع هذا الفنّ وملحقاتهِ الخطّ العربيُّ. فانَّ في الخطّ العربيِّ واقلامهِ المختلفة وسهولة التصرُّف بها ما هو الى النقش اقرب منهُ الى الخطّ الكتابيّ. ومن ثمَّ تجد العرب قد تفنَّنوا بهذا الخطّ على اساليب شتَّى لا يفي بتعدادها احصاء. فمن وقع نظرهُ عليها راعهُ حسنها حتَّى انهُ يظنُّها تصاوير هندسيَّة او نقوشًا زائنة لا كتابات تحتوي معاني منتظمة. (انظر الاشكال التي اثبتنا صورتها هنا)

ومن الآثار الباقية من هذه الخطوط العربيَّة مصنَّفات قديمة منها منثورة ومنها مجموعة تُرى عند بعض الخواص او في خزائن الكتب العموميَّة مسطَّرة على الرقوق او على الجلود او على الورق القديم الصفيق بل خُطَّ بعض منها على ورق البرديّ. وبينها الخطوط الكوفيَّة البسيطة والمزخرفة واصناف الاقلام المستعملة في انحاء الشرق من الشام ومصر والجزيرة والعراق وفارس والمغرب ما لو جُمع في كتاب واحد لعُدَّ احسن تاريخ للكتابة العربيَّة

ومن اغنى المدن بهذه الآثار الجليلة مدينة مصر القاهرة ولاسيَّما مكتبتها الخديويَّة الجامعة من المخطوطات ما يعزُّ وجودهُ في غيرها فان عدد هذه المصنَّفات الخطيَّة لا يقلُّ عن ١٢٠٠٠ كتاب هذا فضلًا عمَّا في الازهر من التآليف التي لم تُطبع لها قائمة حتَّى اليوم. فكان العلماء يودُّون لو رُسم بالتصوير الشمسي بعض امثلة هذه المخطوطات العزيزة التي بينها ما يرقى الى القرن الاوَّل والثاني من الاسلام

وهاءنذا قد حقَّق الدكتور ب. موريتس امانيَّ المستشرقين بوضع كتاب كبير الحجم بديع القطرة محكم الطبع متعدّد التصاوير جعلهُ العدد السادس عشر من مطبوعات المكتبة الخديويَّة التي كرَّرنا وصفها في مجلَّة المشرق واثنينا على همة مديرها. وها نحن نستأنف الثناء على متولي هذا العمل الجديد كما أنَّا نخلص الشكر لصاحب الدولة ارتين باشا الذي اهدانا نسخةً من هذا الاثر النفيس

يحتوي هذا المجموع الفريد ١٨٨ صورة شمسيَّة مطبوعة على الهُلام الميبَّس

المستحضر بالبكرومات (collotypie) على غاية الضبط والجلاء بهمّة احد الطبّاعين في فينة عاصمة النمسة اسمهُ « ماكس جافه ». ومقياس كل صورة ٤٧ سنتمترًا طولًا في ٣٢ س عرضًا على ورق صفيق

امّا مضامين الصور فيُقسم الى ثلاثة اقسام كبيرة اعني المصاحف ثم بعض كتابات قديمة ثمَّ الكتب المخطوطة

فالمصاحف تستغرق اكثر من نصف هذا المجموع فانها بالغة ٩٦ عدًّا اختارها جناب الدكتور موريتس من النسخ القرآنيّة او اجزائها التي يبلغ عددها في المكتبة الخديويّة نيفًا و٣٠٠٠ . وبين هذه المصاحف ما هو مكتوب على البردي ومنها ما هو مكتوب على رقّ الغزال . ومنها ما ينتهي الى القرون الثلاثة الاولى بعد الاسلام . بينها مصاحف مكتوبة بالكوفيَّة او بالخطّ المغربي في الاندلس او جهات المغرب أيام الدولة الفاطميّة او بالقلم الريحاني او بالخطّ الثلث ايام دولة الجراكسة او خطّ بالقلم الفارسي في بلاد فارس او بالقلم النسخي في الدولة العثمانيّة . وكلّ هذه المصاحف تبهر النظر بحسن خطوطها واكثرها محلّى بالذهب ومنمّق بالالوان الناصعة الزهيّة . كُتب برسم السلاطين العظام فاوقفوهُ على الجوامع . وبعض هذه المخطوطات لكتبة مشاهير كان معاصروهم يتنافسون باقتنائها ويدفعون فيها المبالغ العظيمة كياقوت المستعصميّ وعبد الرحمان بن محمّد بن ابي الفتح ويعقوب بن خليل الحنفي وعبد الرحمان بن الصائغ

ومن المصاحف المكتوبة بالقلم الفارسي نسخة جميلة كُتبت برسم الاتابك مظفَّر ابن زنجي وقد ألحق بها جناب الدكتور امثلة بعض مصاحف هنديّة . امّا الخطوط المنسوبة لكتبة اتراك فهي تمتاز بحسن خطوطها النسخيَّة أُورد منها في هذا المجموع امثلة من خطّ حمد الله وخط حافظ عثمان وخط صالح صلاحي وخط محمّد وفاء وغيرهم

فاختار جناب الدكتور موريتس من هذه التحف الكتابيَّة امثلة تأخذ بالابصار لحسنها . وياليتهُ امكنهُ ان يمثل بعضها بالوانها البهية وحُلاها الذهبيَّة كما فعل العلامة الفرنسوي بريس داڤان (Prisse d'Avesnes) في كتابهِ المعنون النقوش العربيَّة (la Décoration Arabe) حيث رسم بالالوان امثلة بعض مصاحف غاية في الجمال والبهاء .

ومن هذه الامثلة ترى كم هي غنيَّة المكتبة الخديويَّة بالمخطوطات الممتازة التي لا

يجاريها فيها مكتبة أخرى اللهمّ ألّا الاستانة العليّة التي لم تجمع بعدُ مكاتبها المتفرّقة وفيها من الآثار النفيسة ما لا يزال حتّى الآن مدفونًا في زوايا الجوامع وغيرها

ومع انّ معظم هذه الامثلة القرآنيّة مصون في المكتبة الخديويّة اراد جناب الدكتور ان يضيف اليها امثلة أُخرى رسمها عن اثار مختلفة حصل عليها في جامع السيّد حسين وعند بعض الخاصّة. ومنها ما وُجد حديثًا في حفريّات البهنسا. مكتوبًا على البردي ويرتقيه الدكتور كاراباتشك الخبير بالآثار العربيّة الى القرن الاوّل للاسلام (WZKDM, XX, 137)

والقسم الثاني من هذا المجموع لا يحتوي الّا ١٧ صورة الّا أنّها غاية في الخطر والاهميّة. واوّلها قطعة او بالحري ثلاث قطع متواصلة من البردي بينها علاقة في مضمونها ظنّها الدكتور مورتس أنّها مكتوبة بلغتين واثبت الدكتور كاراباتشك (l. c. 139-143) أنّها بلغات ثلاث اعني اليونانيّة واللاتينيّة والعربيّة فيها ما عدا البسملة اسم عبد الله الوليد وتاريخها سنة ٧٠٩ للمسيح. وكذلك القطعة الثانية على البردي في اللغتين العربيّة واليونانيّة تاريخها سنة ٧٠٦ كما بيّن الدكتور كاراباتشك ومضمونها وصول دَفْع كُتُب في منف التي تدعى في النص اليوناني بابل. ويليها حجّة من قرّة بن شريك الى المسمّى بسيل تاريخها ربيع الاوّل سنة ٩٠ للهجرة (٧٠٩). وفي اثرها بعض مكاتيب وجوازات من القرن الاول والثاني للهجرة ثمّ كتابة وُجدت في انطينوية تاريخها سنة ١١٧ ﻫ (٧٣٥ م) ثمّ كتابة على صفيحة مدفنيّة تاريخها سنة ٢٠٧ ﻫ (٨٢٢ م) ثمّ بعض حجج ومكاتبات. وخطوط هذا القسم بالخط العادي الجاري في ذلك العهد الذي لا علاقة لهُ مع الخط الكوفي وهو يشبه الخط النبطي

امّا القسم الثالث فقد خُصّ بالكتب المخطوطة التي كتبت من اواسط القرن الرابع للهجرة الى اواخر العاشر وهو يشمل ٧١ صورة شمسيّة واقدم هذه المخطوطات كتاب غريب الحديث لابي عُبيد نسخ سنة ٣١١ﻫ (٩٢٣ م) ومنهُ نسخة اقدم في مكتبة ليدن تاريخها سنة ٢٥٢ (٨٦٦ م) ثمّ رسالة الامام الشافعي سنة ٣٥٠ (٩٦١ م). فترى انّ المكتبة الخديويّة ليس لها كتاب مخطوط قبل القرن الرابع للهجرة وفي مكاتب اوربّة ما هو اقدم من هذا العهد كنسخة ليدن المذكورة آنفًا. وفي الواتيكان ولندن مخطوطات نصرانيّة ترتقي الى اواسط القرن التاسع (اطلب المشرق ٦ : ١٠١١ و٧ :

١١٥٥ و٨: ٢٥٨) . وبين امثلة المخطوطات التي تستحق الذكر صفحة من كتاب سيبويه تاريخها سنة ٣١ (٦٦٢ م) ومن كتاب خصائص العربية لابن جني (٤٩٥— ١١٠٢) وكتاب الحيَل لابي بكر احمد الخصّاص (٤٩٦—١١٠٢) . وفي هذا القسم لم يلاحظ المؤلف حُسن الخط اوقبحهُ وانّما لحظ قدم تاريخهِ . والاقلام فيهِ تختلف على اختلاف الكتبة وانّما جمع فقط الخطوط المغربيّة وحدها في اخر مجموعهِ

وما هو اجدر بالذكر في هذا القسم الثالث صور بعض المخطوطات كتبها مصنفوها بايديهم فزاد بذلك شأنها بينها اجازة بيد الحريري على مقاماتهِ تاريخها سنة ٥٠٤ (١١١١م) ومنها التيسير في التفسير للدميري بخطهِ والمغرب لابن سعيد والمصباح المنير للفيّومي وشرح القصيدة التائية للفيروزابادي وصبح الاعشى للقلقشندي والانتصار لابن دقماق وغير ذلك ممّا يجيء لنا عصر المؤلف ببعض مزاياه تستشف من وراء خطهِ

وان سمح لنا جناب الجامع الفاضل ان نبدي بعض ملحوظاتنا على مجموعهِ فانّنا نقول انّنا كنّا وددنا لو قدّم على هذا الكتاب الجليل مقدّمة يشرح فيها غاية كتابهِ ويدوّن فيها فصلاً عن الخطوطات التي اختارها وما لها من الخواص على سواها . وكذلك كان بودّنا لو كتب شيئاً عن الخط العربي القديم وعن مزاياهُ هذه الخطوط التي اثبتها وما لها من العلاقات مع الخطوط الشائعة في اول الاسلام وعمّا حملهُ الى ان ينسب الى قسم منها تاريخاً معلوماً فيقدّم بعضها على بعض . ولعلّ جناب الدكتور يفكّر في ذلك وهو عن قريب يتحفنا بما يروي الغلّة وعلى كل حال انّنا نكرّر الثناء على همتهِ ونشكرهُ على خدمتهِ للآثار الشرقيّة هذه الخدمة المعتبرة جزاهُ الله كل خير

مطبوعات شرقية جديدة

مبادي العربيّة

رشيد افندي الشرتوني رجل قدَّر اعمالهُ الادباء فهو لا يزال منذ نيف وعشرين سنة

مجرّدًا قلمـهُ لخدمة الحق والادب لا يعرف الملل ولا يعتريه كلل حتى اصبحت كتبهُ التاريخية والعلمية مرجع كل راغب وتآليفه المدرسية حليف كل طالب بيد اننا نرى كتابه «مبادي العربية» وهو اول حلقةٍ من كتب مدرسيَّة ظهرت او هي قيد الطبع نعدُّها اجلَّ خدمة في سبيل الناشئة الوطنيَّة واكبر منَّة يقلد بها جيد الشبيبة المدرسيَّة

كتابٌ صغير ما كاد يظهر في عالم الكتابة حتى اقبل على اقتنائهِ كلُّ من احب التسهيل في العلم والتعليم واتخذتهُ اكبر المدارس اساسًا لها في التدريس. ومن طالع هذا الكتاب وتصفحهُ مقابلًا بينـهُ وبين امثالهِ من كتب القواعد لا يلبث ان يفقه داعي رواجهِ منذ صدورهِ وسرعة انتشارهِ مع قرب ظهورهِ

نرى ان الاجانب لا يزالون ساعين وراء تحسين لغتهم وتسهيل قواعدها وابرازها باجلى قالب واوضح اسلوب حتى لا يتعذَّر على الطالب استيعابُها وادراك كنهها واحراز الغاية المتطلَّبة منها باقرب وقت وما ذلك الَّا لأنَّهم فهموا ان اللغة للرجال وليس الرجال للغة. وقد تشكَّلت في تلك البلاد لجنات بامر وزراء المعارف للنظر في الكتب المدرسيَّة فبعد البحث والتنقيب توصلوا الى تعميم القواعد وادخال الشواذ في ضمنها وتسهيل عبارة التحديد فظهرت إثرَ هذا الاصلاح كتبٌ مدرسيَّة جديدة تسهل على الدارس العقبات وتذلل بوجهه الصعوبات بحيث اصبح بوقتٍ وجيز قادرًا على احراز تلك القواعد والانصباب بعدها على ما يروق في عينهِ من العلوم هذا ما صنعهُ الافرنج في غرَّة هذا الجيل العشرين وهذا ما كانوا يصنعونهُ دائمًا ولا بدع في ذلك فاللغة مرآة الشعب. اما نحن فتلك امنيَّة لا نتجاسر ان نتمنَّاها الان ونقطة نتوق اليها ولسنا نؤمل ادراكها اذ لا يزال بيننا قوم يحلفون بقول المعلم

بيد ان الكتاب الذي نحن الان بصددهِ قد خطا خطوةً كبيرة في هذا المعنى ونهج مؤلفه الفاضل منهاجًا لم ينهجه من تقدَّمهُ من النحويين فنشكر لـهُ سعيهُ وراء هذا الاصلاح وعمله بتسهيل لغتنا على المدرس والدارس فتلك خدمة جليلة وخطوة عظيمة في طريق تؤدي بنا الى فائدة عملية

ولكي لا ينسب كلامنا الى المديح والاطراء المعتاد في وصف الكتب نذكر شيئًا من التعاريف التي سهَّل وعرَها واستدرك نواقصهـا: نأخذ اوَّلًا في الصرف اهم التحاديد كالاسم والفعل مثلًا. نرى ان كتب القواعد تحدُّ الاسم الموصوف «ما دل

على معنًى بنفسهِ غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة.» والصفة مطلقاً «هي ما دلَّ على حالةٍ علقتْ على ذات» هكذا أتى التحديد وهكذا على زعم البعض يجب ان يبقى ما بقي من ينطق بالضاد ونحن لا ننكر صحة هذا التحديد ودقته. بيد انهُ لا ينكر علينا احدٌ ايضاً انهُ يتعذَّر واي تعذُّر على دماغ ابن سبع او ثمان فهم هذه الكلمات «معنى بنفسهِ» «وعلقت على ذات» وادراك مقصودها وكم هو اوضح واجلى واقرب لفهم الولد ان تقول، مع صاحب مبادئ العربية: «الاسم الموصوف ما دل على شخص او حيوان او شيء نحو مريم وفرس وورقة» و«الصفة لفظ يُضاف الى الموصوف لبيان حاله: شجرة عاليه» وكذلك الفعل: فان كتب اللغة حدَّته «لفظاً يدل على وقوع حدث مقترن باحد الازمنة الثلاثة» وهنا نقص في التحديد كان قد اشار اليهِ البعض وتحاشاه صاحب هذا التأليف اذ قال: «الفعل لفظٌ يدل على حالة او حدث في الماضي او الحاضر او المستقبل». لان بعض الافعال كالناقصة وغيرها تدل على حالة لا على حدثٍ وعليهِ ترى الافرنج يقولون في تحديد الفعل «qui indique l'état ou l'action» مع انهم يكاد ان لا يكون عندهم الَّا فعل الكون (être) الذي يدل على حالة

اما النحو فان كل تحديد في مبادي العربية يكاد يعد اصلاحاً فلو اخذنا مثلاً الفاعل نرى ان تحديدهُ في كتبنا هكذا: «اسم مرفوع قدم عليهِ فعل تام معلوم واسند اليهِ». وهذا التحديد كغيرهِ مع صحتهِ يبقى غامضاً على عقول الاحداث اما صاحب مبادي العربية فيقول: «الفاعل اسم تقدَّمهُ فعل ودلَّ على من فَعل نحو: لعب الصغيرُ فكلمة الصغير فاعل لانها وقعت بعد فعل ودلَّت على من فعل اللعب»

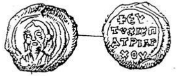
المبتدا والخبر: ورد تحديد المبتدا «اسم مرفوع مجرَّد عن العوامل اللفظيَّة لقصد الاسناد والخبر ما تتم به فائدة المبتدا». وفي الكتاب الجديد: «المبتدا والخبر اسمان يتألف منهما جملة مفيدة». وزد على ذلك ان هذا الكتاب بالغٌ حد الكمال في الترتيب فالقاعدة مطبوعة بحرف غير حرف المثل وحرف المثل يختلف عن حرف التمرين والكلمات مضبوطة باهم حركات النحو والصرف بحيث ان الطالب يجد ميلاً الى الدرس ويتعوَّد منذ نعومة اظفارهِ على القراءة الصحيحة. فنشكر لجناب الاستاذ همَّتهُ ونتمنَّى ان ينجز قريباً بقيَّة اقسام كتابهِ

الشيخ انطون جميّل

CORPUS SCRIPTORUM CHRISTIANORUM ORIENTALIUM SCRIPTORES ARABICI. **Eutychii Patriarchæ Alexandrini Annales** Pars prior. Edidit **L. Cheikho s. j.** *Beryti*, 1906, pp. 234

تاريخ افتيشيوس المكنّى بسعيد بن بطريق

سعيد بن بطريق كان بطريركاً ملكياً على الاسكندريّة في اواسط القرن العاشر وهو اوّل كاتب نصرانيّ خلّف لنا تاريخاً منتظماً بالعربيّة من اوّل الخليقة الى زمانهِ. وتاريخهُ هذا كان تولّى نشرهُ احد المستشرقين اسمهُ بوكوك (Pocock) فطبعهُ في اكسفرد قبل ٢٥٠ سنة ونقلهُ الى اللاتينية الّا انّ هذا الكتاب كان اضحى عزيز الوجود لا يُرى الّا في بعض المكاتب الكبرى. ولمّا باشر العلامة الفاضل الاب شابو نشر مجموع الكتبة النصارى فوّض الينا اعادة طبعهِ فاجبنا الى ملتمسهِ وقد بنينا طبعتنا هذه الجديدة على نسخة قديمة في مكتبتنا الشرقيّة يرتقي عهدها الى نيف و٣٠٠ سنة. ثمّ قابلناها مع طبعة بوكوك واصلحنا ما فيها من الاغلاط وكذلك اضفنا الى الكتاب روايات نسختين أُخريين في مكتبة باريس جمعها العلّامة كارا دي فو. وهذا القسم الاوّل لا يحتوي الّا على تاريخ الخليقة منذ اوّل العالم الى ظهور الاسلام. وسوف يلحق بهِ القسم الثاني من اوّل الهجرة الى عهد المؤلف مع الذيل الذي صنّفهُ يحيى بن سعيد الانطاكي ولم يُطبع منهُ الّا قسم فقط في بطرسبرج. هذا ولا نجهل انّ لابن بطريق اغلاطاً تاريخيّة كما لغيرهِ من المؤلفين الّا انّ تاليفهُ حريٌّ بالاعتبار لما ضمّنهُ من الامور المفيدة لتاريخ النصرانيّة لاسيّما في زمانهِ. امّا انشاؤهُ فحسن يدلّ على انّهُ كان يحسن الكتابة في العربيّة. ولهُ كتب غير التاريخ وخصوصاً بعض الردود على اليعاقبة والنساطرة تنبئ بطول باعهِ في معرفة اصول الدين الكاثوليكي وقد وجد العلّامة شلومبرجه ختم هذا البطريرك فاثبتناهُ هنا كاثر قديم



HISTORIA DE LOS MOZARABES DE ESPANA por **D. Fr.-J. Simonet.** *Madrid*. 1897—1903, gr. in-4, 976 pp.

تاريخ المستعربين في اسبانية

في ٩ تموز اختطفت المنون احد اصدقائنا الاعزّاء من كبار المستشرقين الاسبانيين

الدكتور «فرنسيس خبار سيمونات» الذي شرَّف وطنهُ زمناً طويلاً بإيمانهِ الحيّ وعلومهِ الواسعة . وكان الفقيد وقف حياتهُ على خدمة بلادهِ بالكتابة والتأليف فاحرز لهُ شهرةً مستفيضة . ألا انهُ كان نسيج وحدهِ وفريد عصرهِ في معرفة تاريخ بلادهِ ولاسيَّما في عهد العرب وكان تمكَّن من مطالعة كتب مخطوطة متعددة وجدها مدفونة في زوايا النسيان فانتقى منها كلَّ ما استطاع لتصنيف تاريخ لم يُسبق اليهِ من ذي قبل وهو تاريخ النصارى المستعربين في ايَّام دولة بني اميَّة في الاندلس وجهات اسبانية وكان اطلعنا على كتابهِ هذا عشر سنوات قبل وفاتهِ اذ كان يشتغل في تصنيفهِ وتحسينهِ . فلمَّا توفَّاهُ الله خفنا على هذا الكنز الثمين لئلَّا يُفقد او يبقى غير تامّ . فما اعظم ما كان فرحنا اذ أُخبرنا بانَّ بعض اصحاب الفقيد تواطأوا على نشر الكتاب ومراجعة ما لم يُنجز منهُ وها هوذا قد برز الى عالم الوجود وقد اثابتهُ جميَّة مجريط الملكيَّة باثمن جوائزها بعد ان تكلَّفت نفقات طبعهِ . وكنا نحن نودّ ان نوفي هذا التأليف ما يستحقهُ من الثناء . الَّا انَّ ضيق المكان يضطرُّنا الى ان نقتصر على القليل فنقول انَّ المؤلف رحمهُ الله لم يكتفِ فقط في كتابهِ هذا ان يسطّر تاريخ المستعربين في الاندلس منذ اوَّل الفتوح العربي الى القرن الخامس عشر بل كتب ايضاً فصولاً واسعة في آداب اولئك النصارى ومعارفهم وفنونهم واحوالهم الدينيَّة والمدنيَّة ونظامهم الكنسي وما كان لهم من العلائق مع الدول الحاكمة وذلك في انحاء اسبانية كقرطبة وطليطلة واشبيلية وماردة وسرقسطة كما انهُ استوفى تراجم مشاهير النصارى في تلك الاعصار وعدَّد اعمالهم ووصف تآليفهم وعرَّف ما بقي منها واثبت منها شذرات في العربيَّة ونقلها الى الاسبانيَّة تلك خلاصة هذا الكتاب الفريد الذي لم يعد يستغني عنهُ من يعوّل على درس تاريخ اسبانية في القرون المتوسّطة . فنشكر كلَّ من ساعد على نشر هذا الاثر الجليل خدمةً للعالم والدين معاً

ل . ش .

دليل لبنان

بقلم عزّتلو ابرهيم بك الاسود

طُبع في المطبعة العثمانيَّة في بعبدا (لبنان) سنة ١٩٠٦ ص ٦٩٢ حقّهُ ريال مجيدي

هي الاعمال تبدو ضئيلةً ثمَّ تعظم الى ان تبلغ كمالها . وهاءنذا «دليل لبنان» الذي تلطَّف صاحب امتياز جريدة لبنان ومدير معارف متصرفيَّة الجبل سابقاً فاهدانا

أيّاه يحتقي هذه السنة الطبيعيّة فانّهُ ظهر لاوّل مرّة على صورة كرّاس صغير ثمَّ صار كتابًا وسطًا وها قد اضحى اليوم تاليفًا واسمًا اشبه بشجرة الخردل الانجيليّة التي يأوي اليها كلّ طير السماء. والحقّ يقال ان مؤلفهُ صاحب المعزّة قد ضمّنهُ اصناف الفوائد عن لبنان فجعلهُ كحديقة غنّاء تحتوي كلّ ما يروق للعين ويستطيبهُ القلب. ولو اردنا ان نعدّد كلّ فصوله لاستغرق فهرسهُ عدّة صفحات. فنخصُّ بالذكر نظام جبل لبنان وهيئة المتصرفيّة مع كلّ ما يتعلق بها من المجالس والدوائر والمراكز والاقضية والنواحي ومراكز البريد والتلغراف وجرائد الجبل ومطابعهِ ومدارسهِ واكليروس كل الطوائف والاديار اللبنانيّة مع اسماء روسائها. يليها (ص ١٣٨–١٦٩) مقالة مطوّلة في لبنان وحدودهِ وسهوله وتربته ونباتهِ ومعادنه وحيوانه وانهارهِ اقتطفها من مقالات حضرة الاب لامنس في المشرق. ثمّ مقالة في صنائع لبنان (ص ١٧٠–١٧٨) وممّا يستحقّ الذكر شذرات مقتطفة عن تقويم البشير (ص ٤٧٣–٥٠٣). وافيد من ذلك جدول واسع (ص ٦٢٤–٦٧٢) يحتوي على بيان عدد طوائف كل قرية عن لبنان والجهة المنسوبة اليها ومحصولاتها وحيواناتها. فهذه فصول مهمّة تفيد كل من يريد معرفة لبنان واحوالهِ يستحق كاتبها على وضعها اطيب ثناء. ولهُ فضلًا عن ذلك مقاطيع اخرى وشذرات وفوائد لبعض منها علاقة مع لبنان كبعض النظامات والصكوك والتنظيمات والرسوم والامتيازات والنقود والرواتب. والبعض الآخر خالي العلاقة مع الجبل كفصول صحيّة ومكاتبات اهليّة وواجبات المرأة (ص ٣٤٥) وجمال المرأة (ص ٥٠٦) وترتيب الطعام من كتاب تذكرة الطبّاخين (ص ٤٢٢–٤٧٢) فكأنّ المؤلف الفاضل احبّ ان يجعل كتابهُ جامعًا لضروب الفوائد فخرج عن المقصود وكنّا وددنا لو استبدل جناب البك هذه الفصول بما هو اقرب الى غايتهِ كبيان طرق لبنان والمسافات بين القرى وتجارة لبنان مع رسم خارطة مضبوطة لانحاء الجبل وليس كلامنا هذا انتقاد عاذلٍ بل رغبة محبٍّ يودّ ان يكون هذا الدليل دستورًا يرجع اليهِ العلماء المستشرقون كأهل الوطن فلا يُشغل فكرهم بما لا رابطة لهُ مع لبنان ومن ثمَّ نتمنّى لهُ كل رواج لتكون طبعتهُ الرابعة بالغةً قصوى الكمال. ونحن نشكر في الختام لجناب المؤلف حسن ظنّهِ بنا اذ نقل في دليله كثيرًا ممّا رويناهُ في مجلتنا وفي كلندار المشرق ل. ش.

شذرات

﴿ أنا للعالم ﴾ قرأنا تحت هذا العنوان فصلاً نشرتهُ مجلة الحقيقة لاحد طلبة البلمند ادعى فيهِ الكاتب ان الناطق بالكلمتين هو بولس الرسول وبنى عليهما مقالةً خلاصتها انَّ الانسان ليس هو لنفسهِ بل هو للعالم. وقد فتّشنا في كل رسائل بولس الرسول لعلّنا نجد فيها هذه الآية الغريبة او بالحري هاتين الكلمتين اللتين على زعم الكاتب « تتمثّل فيهما الانسانيَّة الحقيقيَّة بأبهى مجاليها وتجريان في الاوصال دماء العمل وتفعلان في النفوس الحيَّة فعل الكهربائيَّة و... و... » فخاب رجاؤنا وحبط مسعانا. وغاية ما كنَّا نعلم من تعليم بولس الرسول انهُ « للمسيح » كما انهُ كان يعلم المسيحيين ان يكونوا للمسيح قال في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتس (٣: ٢٢–٢٣): « كل شيء هو لكم وانتم للمسيح » . اما قول بولس « انا للعالم » فلم نسمعهُ قطّ من فم هذا الرسول. نعم انَّنا لا نجهل انهُ يمكن تأويل هذه العبارة على طريقة صوابيَّة كما فعل الكاتب بمعنى انَّ الانسان خُلق لخدمة اخوتهِ ولتضحية صوالحهِ لفائدة قريبهِ الَّا انَّ العبارة ملتبسة يمكن شرحها على غير صواب وان قال الكاتب انَّ بولس الرسول قال في رسالتهِ الى اهل غلطية (٦: ١٤) « صُلب العالم لي وانا للعالم » ومن ثمَّ العبارة مأخوذة من اقوال القديس بولس اجبنا ان جناب الكاتب يجهل اوَّل قاعدة لشرح آيات الكتاب وهو ان لا تُبتر الالفاظ عن جملة الآية والمعنى هنا ظاهر « قد صُلب العالم لي كما صُلبت انا للعالم » وهو عكس ما ادَّعى الشارح فانَّ بولس يريد انهُ نبذ العالم ولم يعد لهُ شغلٌ مع اباطيلهِ كما انَّ المصلوب لا تنال يدهُ شيئًا مما يحيط بهِ. وفي الختام نطلب الى مدرّس الكتاب المقدَّس في البلمند ان لا يأذن لتلامذتهِ بنشر تفسير آيات الاسفار المقدَّسة قبل ان يطلعهم على قوانين الارمنوتيكا لئلاَّ ينسبوا الى الرسل ما هم براء عنهُ

﴿ المصنوعات الصينيَّة ﴾ مرَّ لنا في المشرق (ص ٥٩٩) انَّ كوتاهية احدى مدن الممالك المحروسة التي اشتهرت بصنوعاتها الخزفيَّة والاعمالها الصينيَّة. ويسرُّنا ان نبشّر القرَّاء بانهُ قد تقرَّر افتتاح معرض للصينيَّات في بغداد. واخصّ ما سيعرض فيهِ للعموم مصنوعات معامل كوتاهية

﴿ اقمار المشتري وزُحل ﴾ بلغ عدد الاقمار التي اكتشفها الفلكيُّون للمشتري سبعة اقمار تدور حولهُ وعلى مسافات مختلفة كحاشيتهِ الشرقيَّة . أمَّا زحل فانَّ اقمارهُ المعروفة اليوم عشرة وجد العاشر منها سنة ١٩٠٥ الفلكي الانكليزيّ بيكرنك احد اساتذة كليّة كمبريج ودعاهُ باسم تامس وهذا القمر قد وقف عليهِ بالتصوير الشمسيّ ليس بالرصد لأن الآلات الرصدية لا تدركهُ . والفلكي المكتشف لهذا القمر كان سبق واكتشف سنة ١٨٩٨ القمر التاسع للسيَّارة زحل

﴿ شريعة حمُورَبي ﴾ افاد المسيو دي مورغان العلاَّمة الاثري الشهير انهُ وجد في شوشن نسخةً ثانية من شريعة حمُورَبي . ومن المعلوم انَّ اكتشاف هذه الشريعة من اعظم الآثار التي ظهرت في أيامنا ترتقي الى ١٥٠٠ سنة قبل المسيح كتبها حمُورَبي في بابل فنقلها ماوك عيلام الى شوشن . والاملُ معقود على هذه النسخة الجديدة لفكّ عدَّة مشاكل نتجت عن قراءة النسخة الاولى (المشرق ٧ : ٢٨٨)

اسئلة واجوبة

س سألنا احد الكهنة هل كانت شجرة الحياة المذكورة في سفر التكوين (٢ : ٩) شجرة حقيقيَّة ام هي رمز الى طاعة الابوين الاوَّلين . وان كانت حقيقيَّة فهل يُعرَف ما هي ومن اين لها القوة لتعطي الحياة

شجرة الحياة في الفردوس

ج لا يختلف المفسّرون في انَّ شجرة الحياة شجرةٌ حقيقيَّة كبقيَّة الاشجار الطبيعيَّة ليس رمزًا كما زعم بعض المحدثين . ومما يدل على ذلك انَّ اقدم الشعوب كالبابليين والصينيين والمصريين يذكرون في اساطيرهم هذه شجرة الحياة . اما نوع هذه الشجرة فمجهول تعدَّدت فيهِ الآراء بل لا يُعلم أبقي لها وجود . وما يُستفاد من تصاوير هذه الشجرة في الآثار القديمة لا يكفي لتعريفها . اما القوَّة التي كانت تعطيهِ لآكلها حتى تجدّد حياتهُ فمن الممكن انها كانت فيها طبيعيَّة فكانت تقوي كما يقوّي الطعام وتنعش قوى الجسد وتجدّد دم الانسان الى ان ينقلهُ الله الى حياة دائمة بلا موت . ومن المحتمل ايضًا ان يكون الله آتى تلك الشجرة قوَّة فائقة الطبيعة لتقي الانسان في حياتهِ وتدفع عنهُ كلَّ ضعف وسقم ل . ش